# الفصل الأول

## مولده وأسرته

# ١ - مولـــده

يختلف الإخباريون فى تاريخ ميلاد الوليد بن يزيد ، فمنهم من يجعله سنةَ سبع وثمانين[١] ، أوسنة ثمان وثمانين[٢] ، ومنهم من يروى أنه كان سنة تسعين[٣] ، ومنهم من يتأخر به إلى سنة اثنتين وتسعين[٤] .

والراجح أنه ولد سنة تسعين ، فإن هذا التاريخ يتفق مع أحداث حياته الهامة المشهورة ، اتفاقاً دقيقاً ، كاضطرار أبيه إلى تقديم عمه هشام بن عبد الملك عليه فى ولاية العهد سنة إحدى ومائة ، لأن الوليد كان صغيراً لم يُدْرِكْ ، ولم يُجَاوِز الحادية عشرة[٥] ، وبُلُوغِهِ الخامسة عشرة فى آخر أيام أبيه ، سنة خمس ومائة ، ونَدَم أبيه على جَعْلِهِ وَلِيَّ عَهْدِهِ الثانى[٦] . ومَقْتَلِ الوليد سنة ست وعشرين ومائة ، وهو ابن ست وثلاثين[٧] .

---

(١) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٧٩ر .

(٢) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٣٤ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٨ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٧٩ و ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق ، رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١١ ظـ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٣ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ . و ٥ ، الورقة : ١٩ و .

(٤) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة ٤٧٩ و ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق ، رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١١ ظـ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٣ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١٦ و .

(٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية عن مخطوطة استانبول رقم ٥٩٧ - ٥٩٨ ، المجلد الثانى ، ص : ٢٣٧ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٩ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٤٢ ، والأغانى ٧ : ٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٩١ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١٩ و .

(٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٢٣٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٢ ، ٢٠٩ ، والأغانى ٧ : ٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٩١ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١٦ر .

(٧) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٨ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣٣٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٤ر ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٨ .

## ٢ - أبـــوه

وتتباين الروايات فى مولد أبيه يزيد بن عبد الملك على نحو ما تباينت فى مولده ، فمن قائل : إن أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية[٨] ولدته لأبيه عبد الملك بن مروان سنة ستٍ وستين ، ومن قائلٍ : بل سنة إحدى وسبعين ، أو سنة اثنتين وسبعين[٩] .

ويبدو أن يزيد بن عبد الملك كان فى صغره وصباه مثالاً للرجل الكامل الجميل فى حُسْنِ خِلْقَتِه ، وتَمام بِنْيته ، وظهور قُوَّته ، يصفه المسعودى فيقول : كان طويلاً جسيماً ، أبيض مُدَوَّرَ الوَجْه ، لم يَشِبْ[١٠] » . فَفُتِنَتْ به أمه فتنةً شديدةً ، وتَعَلَّقت به تَعَلُّقاً بالغاً . وزاد من محبتها له ، وإعجابها به ، وعطفها عليه أنه كان أوَّل أبنائها[١١] ، وأنها كانت تُحِسُّ تَمَيزه من سائر إخوته ، وتَفَرُّدَه بين أقرانه من الأمراء الأمويين ، إذ تحقق فيه نُصوعُ النسب ، واجتمعَ له كرم المَنْبِتِ من جهة أبيه وأمه ، ولما كان يجرى فى عروقه من دم مَرْوَانى وسُفْيانى .

وضاعف من التصاق أمه به ، وحُنُوِّها عليه أن عبد الملك لم يلبث أن طَلَّقهَا وفَارَقها ، وتزوج بنت أخيها أم عثمان بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية[١٢] ، فأصبح يزيد أملَ حياتها ، ومصدر سعادتها ، وكلَّ هَمِّها وشُغْلها فى وحدتها . فعاشت به وله ، تَحُوطُهُ برعايتها ، وتُسْبِغُ عليه من حنانها ، فارْتَبط بها ، واعتمد عليها ، حتى نُسِبَ إليها عند الشعراء الأمويين[١٣] ، وبعض المؤرِّخين[١٤] ، ونشأ فى أحضانها نشأةً فيها الرِّقةُ والنُّعومة ، وفيها الشُّموخِ بالنسب والنفس ، مماظلَّ يَتَعمَّقه طول حياته ، فقد

---

(٨) انظر أخبار عاتكة فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٧٩ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٠ ؛ ومروج الذهب ٣ : ٢٠٦ ، والأغانى ٧ : ١ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٩١ ، ١١٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، حـ ١٨ ، الورقة : ١٦١و ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٩ ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٣١ .

(٩) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨١ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، حـ ١٨ ، الورقة : ١٦١ ظ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص : ٢٤٦ .

(١٠) التنبيه والإشراف ص : ٢٧٧ ، وأنظر تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، حـ ١٨ ، الورقة : ١٦١ ظ .

(١١) تاريخ الطبرى ٦ : ٤١٩ .

(١٢) جمهرة أنساب العرب ص : ١١٣ .

(١٣) ديوان كثير عزة ص : ٣٤١ ، وديوان الفرزدق ٢ : ١٧ .

(١٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى . ص : ١٧٩ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٦١٥ ، ٦٢٠ .

غرست فيه حب التَّرف والزينة والمسرة ، وقَوَّت فيه الشعور بكرامته وشهامته ، والفخر بذاته ومنزلته[١٥] . وتَعَهَّدَتْ ابنَه الوليد فى حياته ، وبعد مماته ، ونَفَخَتْ فيه من روحها ، فإنها عُمِّرَت إلى أن أدركت مقتله[١٦] . ويدل شعره على أنه كان يَتَمَدَّحُ بها ، وَيَتَغَنَّى بشرفها وعظمتها ، وَيَعْتَدُّ بِخُؤولته فى الهاشميين بسببها ، فإن أم عاتكة هى أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر ، وأم عبد الله بن عامر هى أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم[١٧] .

ولم يَحْمل القدماء شيئاً من أخبار علاقة يزيد بأبيه عبد الملك ، أما تربيته له فيمكن أن تكون على شاكلة تربيته لبقية أولاده ، فإن عبد الملك كان مَعْنِيا بتأديبهم وتَنْشِئَتهم تَنْشِئَةً عربيةً خالصةً[١٨] . إذ كان يختار لِتَعْلِيمهم كبار الأدباء والعلماء ، وكان يرسلهم إلى البادية ليأخذوا منها اللغة العربية الفصيحة ويُجيدوها ويُتْقِنوها إتقاناً شديداً ، وليكتسبوا منها الخلق العربى الكريم . وأما صلته العاطفية به فيظهر أنها كانت ضعيفة فاترةً ، وأنه لم يرعه كما كان يرعى أبناءه من أزواجه الأخريات ، فقد طَلَّق أمه ، فتنحَّتْ به ، وفرغت له ، وكان عبد الملك ميالاً لابنه الوليد ميلاً واضحاً ، حَفِياً به ، مُقَدِّماً له على إخوته ، مُتساهلاً فى تَرْبيته تَساهُلاً ظاهراً ، حتى قال : أَضَرَّنا فى الوليد حُبُّنا له ، فلم نُوَجِّهْهُ إلى البادية ، فكان كثير اللحن فى كلامه »[١٩] .

ولما كبر يزيد واشتدَّ عوده ، ونضجَ ووَعَى جد فى طلب المعرفة ، واجتهد فى لقاء العلماء اجتهاداً موصولاً ، فقد كان فى صباه يَرْحَلُ من دمشق إلى المدينة ، وينزل بداره قرب المسجد النبوى[٢٠] ، وكان فى أثناء نزوله بها يَتَرَدَّدُ على حلقات المحدثين والفقهاء ، يَسْتَمِعُ لهم ، ويأخذُ عنهم[٢١] ، وكان يزور المدينة فى مواسم الحج ، فيجالس العلماء ، ويُجلُّهم ويُجَدِّدُ تلمذته عليهم ، ويحسن الإصغاء إليهم[٢٢] . فإذا رجع إلى دمشق التقى فى قصر أبيه بمحمد بن مُسْلِمٍ الزهرى ، وحرص على الانتفاع بعلمه[٢٣] ، فَثَقِفَ الحديث ، وتمكَّنَ منه ، وبَرَعَ فيه ، واشتهر بحفظه وروايته ، حتى عُدَّ من

---

(١٥) التنبيه والإشراف ص : ٢٧٧ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، حـ ١٨ ، الورقة : ١٦١ ظـ .

(١٦) جمهرة أنساب العرب ص : ٩١ .

(١٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١١ ، والأغانى ٧ : ٦ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٩ .

(١٨) عيون الأخبار ٢ : ١٦٧ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٦٣ ، ١٧٧ .

(١٩) البيان والتبيين ٢ : ١٦٥ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٢٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ١١ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٦٤ .

(٢٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٤٣٧ .

(٢١) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، حـ ١٨ ، الورقة : ١٦١ ظـ .

(٢٢) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، حـ ١٨ ، الورقة : ١٦٢و .

(٢٣) عيون التواريخ . مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١٥و .

المحدثين[٢٤] ، واستمر يطلب العلم ، ويسعى له فى شبابه ، إذ يروى ابن كثير أنه «كان يكثر من مجالسة العلماء قبل أن يلى الخلافة[٢٥] » ، ويقول صاحب الإمامة والسياسة : إنه كان محبوباً فى قريش بجميل مَأْخَذِه فى نفسه وهَدْيه وَتَواضُعِهِ وقَصْدِه[٢٦] .

وأثرت ثقافته الدينية فى سياسته تأثيراً بارزاً ، إذ استهل خلافته بتقريب العلماء والفقهاء من أمثال رجاء بن حيوة الكندى[٢٧] ، ومحمد بن مسلم الزهرى[٢٨] ، وغيرهما ممن أحصاهم اليعقوبى[٢٩] وأجلّهم يزيد وأحسن اليهم ، واستعان بهم فى القضاء ، واستضاء بآرائهم فى تصريف شئون الدولة[٣٠] ، وابتدأ حكمه بالتشبه بعمر بن عبد العزيز ، فقد حفظ عنه أنه قال يوم بويع بالخلافة « والله ما عمر بأحوج منى إلى الله »[٣١] .

وأبقى يزيد عمال عمر بن عبد العزيز فى وظائفهم[٣٢] ، وأمرهم أن يسيروا بسيرته[٣٣] ، ولم يفصل أحداً منهم فى السنة الأولى من خلافته ، ولا فى مطلع السنة الثانية منها ، حتى إذا ثار عليه يزيد ابن المهلب بالبصرة ، وحبس واليها عدى بن أرطاة الفزارى ، وقتله ، وهَدَّدَ الخلافة الأموية بعد انضمام القبائل اليمنية والربعية العراقية إليه[٣٤] ، ومناداته بالرجوع إلى الكتاب والسُّنَّة[٣٥] ، حينئذ سيَّر يزيد بن عبد الملك إليه أخاه مسلمة بن عبد الملك ، وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك فى جيش أهل الشام من قضاعة وكلب ، وآزرتهما فى البصرة القبائل المضرية من قيس وتميم ، فقتلا يزيد بن المهلب بالعَقْرِ من أرض بابل ، وتعقب جندهما وقادتهما فُلُولَ المهالبة بفارس وأبادوها[٣٦]

(٢٤) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، حـ ١٨ ، الورقة : ١٦١ ظـ .

(٢٥) البداية والنهاية ٩ : ٢٣٢ .

(٢٦) الإمامة والسياسة ٢ : ١٢٥ .

(٢٧) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٣١٤ .

(٢٨) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١٥و .

(٢٩) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٥ .

(٣٠) الأغانى ٤ : ٢٤٨ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، حـ ١٨ ، الورقة : ١٦١و ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٣٢ .

(٣١) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، حـ ١٨ ، الورقة : ١٦٣و ، وانظر الأغانى ١٥ : ١٢٨ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٤٧ .

(٣٢) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٨٩ .

(٣٣) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، حـ ١٨ ، الورقة : ١٦٣و ، والعبر فى خبر من غبر ١ : ١٢٨ ، والبداية والنهاية : ٢٣٢ ، ومرآة الجنان ١ : ٢٢٤ ، وشذرات الذهب ١ : ١٢٨ .

(٣٤) الأغانى ١٤ : ٢٧٧ .

(٣٥) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٨٧ .

(٣٦) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٩٠

وكشفت ثورة المهالبة عن خطر القبائل اليمنية العراقية على الخلافة الأموية فأعاد يزيد بن عبد الملك النظر فى سياسته الداخلية ، وأحدث تغييرات شاملة فى الوظائف الإدارية ، فأقصى القبائل اليمنية العراقية وجفاها ، واصطنع القبائل القيسية وانحاز إليها ، إذ عهد بولاية العراق إلى أخيه مسلمة[٣٧] ، فَعَيَّنَ على خراسان سعيد بن عبد العزيز الأموى[٣٨] ، ولم يلبث يزيد أن عزل أخاه مسلمة عن العراق وخراسان ، لانكسار خراج العراق فى أيامه ، وَوَلَّى عليها عمر بن هبيرة الفزارى ، فَصَرفَ سعيد بن عبد العزيز الأموى عن خراسان ، واستعمل عليها سعيد بن عمرو الحرشى[٣٩] ، .

ونَحَّى يزيد عن المدينة محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى ، انتقاما لنفسه منه ، وتَضْييقاً على اليمنية ، فإن يزيد كان حَجَّ فى أيام أخيه الوليد بن عبد الملك ، فَتَزَوَّجَ بنت عَوْنِ بن محمد بن على بن أبى طالب ، وأَصْدَقَها مالاً كثيراً . فكتب الوليد إلى ابن حزم أن يَقْبِضَ المال من عَوْنٍ ، فإن لم يَدْفَعْهُ إليه ضَرَبَهُ بالسِّياط حتى يُسْتَوْفِيَهُ منه ، وَيَفْسَخَ نكاحَ يزيد . فَصَدَعَ ابنُ حزمٍ بأمر الوليد وَنَفَّذَه[٤٠] .

وضَمَّ يزيد المدينة إلى عبد الرحمن بن الضحاك الفهرى عامل مكة[٤١] . وألح عثمان بن حيان المرى على يزيد أن يعاقب ابن حزم ، لأنه كان ضَرَبَهُ حدَّيْنِ فى الشراب[٤٢] فامتنع يزيد على ابن حيان ، وسَفَّهَ رَأْيَه ولكنه وَعَدَهُ أنْ يُوَلِّيَهُ المدينة ، فَأَبَى وقال : لا أريد ذلك ، لوضَرَبْتُهُ بسلطانى لم يكن لى قوداً ، فكتب يزيد إلى عبد الرحمن بن الضحاك الفهرى : « انظر فيما ضَرَبَ ابنُ حزمٍ ابنَ حيَّان ، فإن كان ضَرَبَهُ فى أَمْرٍ بَيِّنٍ ، فلا تَلْتَفِتْ إليه ، وإن كان ضربه فى أمرٍ يُخْتَلفُ فيه ، فلاتَلْتَفِتْ إليه ، وإن كان ضربه فى أمرٍ غير ذلك ، فَأَقِدْهُ منه[٤٣] » . فاستدعى عبدُ الرحمن بنُ الضحاك الفهرى ابْنَ حَزْمٍ وضَرَبَهُ حَدَّيْنِ فى مقام ، ولم يَسْأَلْهُ عن شىء !

وكتاب يزيد إلى ابن الضحاك الفهرى واضح الدلالة على تَحَوُّطِهِ فى محاسبة ابن حزم ، ورغبته فى إنصافه ، فإنه لم يكن يريد أن يصب عليه الأذى والعقاب دون ذنب ، غير أن ابن الضحاك الفهرى طوى كتاب يزيد ، وتَصَرَّف على هواه ، فجلد ابن حزم وأهانه ! ثم أساء السيرة فى المدينة ، ولم

---

(٣٧) تاريخ الطبرى ٦ : ٦٠٤ .

(٣٨) تاريخ الطبرى ٦ : ٦٠٥ .

(٣٩) تاريخ الطبرى ٦ : ٦٢٠ .

(٤٠) الأغانى ٤ : ٢٥٢ .

(٤١) تاريخ الطبرى ٦ : ٦٢٠ .

(٤٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨٣ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٥٧٥ .

(٤٣) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٧٥ ، وانظر تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٢ .

يعمل بشيء مما أوصاه به محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى من الرشاد والسداد ، واستشاره أهل الفَضْلِ والخير ، فَعَادى الأنصار جميعاً ، وسامهم سوء العذاب [٤٤] . وأراد أن يَتَزَوَّجَ فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب على كرهٍ منها ، فلما رَفَضَتْ هَدَّدَها بِضَرْبِ أكبرِ بنيها فى الخمر ، فَرَفَعَتْ أَمْرَهَا إلى يزيد سرًّا ، فغضب لها ، وصَمَّمَ على الاقتصاص لها من ابن الضحاك الفهرى ، فاستشفع له مسلمة ابن عبد الملك ، فلم يقبل يزيد شفاعته فيه ، ثم عزله عن المدينة وَوَلَّى عليها عبد الواحد بن عبد الله النَّضرى وأمره بِضرب ابن الضحاك الفهرى ، وإغرامه أربعين ألف دينار ، ففعل[٤٥] . وأقام النضرى بالمدينة ، وأحسن السيرة فى أهلها ، فلم يقدم عليهم والٍ أحب إليهم منه . وكان يذهب مذاهب الخير ، لايَقْطَعُ أَمْراً إلا استأنس فيه بِرَأْيِ العلماء والفقهاء[٤٦] .

وصَرَف يزيدُ عن إفريقية محمد بن يزيد مولى الأنصار ، ووكلها ليزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج ابن يوسف[٤٧] . فارتفعت مكانة القبائل القيسية فى العراق والمشرق وإفريقية ، واتسع سلطانها ، وانحطت منزلة القبائل اليمنية العراقية والخراسانية ، وتقلص نفوذها .

ومع أن يزيد بن عبد الملك اعتمد على القبائل القيسية وحاباها ، لأنها ساندته على القبائل اليمنية والربعية العراقية التى أيدت المهالبة ، فإنه احتفظ للقبائل اليمنية الشامية بمنزلة مرموقة فى دمشق ، وظل يَتَمَسَّكُ بها . ولا يُفَرِّطُ فيها . فإنها كانت تُشَكِّلُ صُلْبَ جيشه فى الشام ، كما أنها امْتَثَلَتْ لأمره حين نَدَبَها لمحاربة المهالبة الذين خرجوا عليه ، فَهَبَّت للذوذ عنه ، وأجهزت على المهالبة وأنصارهم . وبقيت على ولائها له ، ونددت شعراؤها بيزيد بن المهلب[٤٨] ، واعتبروا خروجه على الخليفة مُروقاً من الدين ، بل إنها افتخرت بقضائها على يزيد بن المهلب ، وتدميرها لمن ثار معه وأطاعه من أهل العراق ، إذ يقول زهير بن المسيب الكلبى الدمشقى [٤٩] :

قَتَلْنَا يَزِيدَ بنَ المُهَلَّبِ بَعْد مَا تَمَنَّيْتُمُ أَنْ يَغْلِبَ الحَقَّ بَاطِلُهْ
وماكانَ فى أهلِ العراقِ منافقٌ عن الدِّين إلاَّ مِنْ قُضَاعَةَ قَاتِلُهْ

وقَدَرَ يزيد انصياع القبائل اليمنية الشامية لإرادته ، وصدقها فى الدفاع عن خلافته[٥٠] ، فاختار

---

(٤٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ١٤ .
(٤٥) تاريخ الطبرى ٧ : ١٣ ، وانظر تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٣ .
(٤٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ١٤ .
(٤٧) تاريخ الطبرى ٦ : ٦١٧ .
(٤٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢١٥ .
(٤٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢١٥ .
(٥٠) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٨٤ .

منها كثيراً من عماله على الأمصار ، وموظفيه فى دمشق ، فكان على أرمينية مَعْلَق بن الصفار البهرانى الحمصى[٥١] ، وعلى الجزيرة فايد بن محمد الكندى ، ثم العرس بن قيس الكندى[٥٢] ، وأرسل إلى إفريقية يحيى بن ناعصة الكلبى[٥٣] ، بعد أن قتل أهلها يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج ، وولوا عليهم محمد بن يزيد الأنصارى[٥٤] وكان على مصر بشر بن صفوان الكلبى[٥٥] ، وعلى اليمن وحضرموت الضحاك بن زمل السكسكى من أهل بيت لُهيَّا من قرى دمشق[٥٦] . وكان على قضاء الكوفة الحسين ابن الحسن الكندى[٥٧] ، وعلى قضاء الصائفة عبد الرحمن بن سليم الكلبى[٥٨] ، وكان على ديوان الخراج والجند والرسائل أسامة بن زيد مولى أهل اليمن[٥٩] ، وعلى الحرس أبو مالك السَّكْسَكى[٦٠] .

واهتم يزيد بشون الدولة المالية ، فانتخب للإشراف عليها صالح بن عبد الرحمن الغدانى[٦١] ، أشهر موظفى سليمان بن عبد الملك ، وعمر بن عبد العزيز ، وأشدهم اتِّباعاً للحق ، وأكثرهم خِبْرةً بالخراج ، وأوسعهم عِلْماً به[٦٢] . وقرر يزيد أن يَضْبِطَ سواد العراق ويُنَظِّمه لأنه لم يُمْسَحْ منذ مسحه عثمان بن حنيف فى زمن عمر بن الخطاب[٦٣] . ولكن عباس بن هشام الكلبى[٦٤] يزعم أنه إنما قرَّر ذلك ليستولى على الأرض التى لا أصحاب لها ، إذ يقول البلاذرى : « حَدَّثنى عباس بن هشام الكلبى عن أبيه عن رجل من آل الأهتم قال : كتب يزيد بن عبد الملك إلى عمر بن هبيرة — وهو

---

(٥١) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٥ .

(٥٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٥ .

(٥٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٥ .

(٥٤) تاريخ الطبرى ٦ : ٦١٧ .

(٥٥) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٢٤٣ .

(٥٦) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٣ .

(٥٧) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٦ .

(٥٨) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٧ .

(٥٩) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٧ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٤١ .

(٦٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٧ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٤ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٤١ .

(٦١) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٢٣ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٣٧١ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٢٩٥ . واسمه فى تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٧ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٤١ « صالح بن جُبَيْر » .

(٦٢) انظر ترجمته فى تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٣٧١ .

(٦٣) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٣ .

(٦٤) كان هشام بن محمد الكلبى يمنى الهوى ، وكان يميل إلى الشيعة ، وكان غير موفق فى رواية الأخبار (انظر فى ميوله ، ومدى الثقة فيما يروى من الأخبار) نشأة علم التاريخ عند العرب ص : ٤١ ، ١٢٧ » .

عامله على العراق – أنه ليست لأمير المؤمنين بأرض العرب خُوصَةُ قَسْرٍ[٦٥] على القطائع ، فَخُذْ فُضُولَهُ لأمير المؤمنين . فجعل عمر يأتى القطيعة فيسأل عنها ثم يمسحها[٦٦] » . ويذهب اليعقوبى[٦٧] إلى أن يزيد أمر بِمَسْحِ السَّوادِ لِيُحْصِىَ أرضه ، وأن ابن هبيرة فرض على الناس ضرائب جديدة أجحفت بهم ، إذ يقول : « كتب يزيد إلى عمر بن هبيرة – وهو عامل العراق – يأمره أن يمسح السواد ، فمسحه سنة خمس ومائة . . . فَوَضَعَ على النخل والشجر ، وأضَرَّ بأهل الخراج ، ووضع على التائثة[٦٨] ، وأعاد السُّخَر والهدايا وما كان يؤخذ فى النيروز والمَهْرجَان[٦٩] » .

ويقول اليعقوبى : إن يزيد عَزَل عمَّال عمر بن عبد العزيز جميعاً[٧٠] . وينقل ابن عساكر[٧١] وابن كثير[٧٢] ، واليافعى[٧٣] ، والسيوطى[٧٤] ، وابن العماد الحنبلى[٧٥] أن يزيد ألْغَى إصلاحات عمر بن عبد العزيز ، ويصفون سياسته المالية بالفساد والاضطراب ، ويتهمونه بإرهاق أهل الأمصار بالضرائب . ولا شاهد لهم على ما دمغوا به سياسته المالية إلاَّ خبر واحد رواه المدائنى فقال[٧٦] : « عمد يزيد بن عبد الملك إلى كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز مِمَّا لم يوافقه فَرَدَّه ، ولم يرهب فيه شناعةً عاجلةً ولا إثْمًا عاجلاً . وخَلَّف محمد بن يوسف أخو الحجاج على أهل اليمن وظيفةً جعلها خراجاً عليهم ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله يأمره بإلغاء تلك الوظيفة ، والاقتصار على العشر ، ونصف العشر ، وقال : لأَنْ يأتينى من اليمن حَفَنَةُ كَتَمٍ[٧٧] أَحَبُّ إلىَّ من أن يُقِرَّ هذه الوظيفة . فلما مات ، وولى يزيد بن عبد الملك بعد عمر ، أمر بَرَدَّها ، وكتب إلى عروة بن محمد عامله : إنَّ عمر بن عبد العزيز كان مغروراً منك ومن أشباهك ، فأعد على أهل اليمن الضريبة التى

---

(٦٥) القسور : واحدته قسورة ، وهى حُمْضَةٌ من النجيل ، وهو مشتق من القَسْر.

(٦٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨٤ .

(٦٧) كان اليعقوبى شيعى المذهب ، وكان يحامل العباسيين . (انظر نشأة علم التاريخ عند العرب ص : ٥٢ ، ٥٣ ) .

(٦٨) التائثة : المقيمون فى البلاد الذين لا ينفرون مع الغزاة ، ليس لهم فى الفئ نصيب . ( لسان العرب : تنأ ) .

(٦٩) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٣ .

(٧٠) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٠ .

(٧١) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، جـ ١٨ ، الورقة : ١٦٣و .

(٧٢) البداية والنهاية ٩ : ٢٣٢ .

(٧٣) مرآة الجنان ١ : ٢٢٤ .

(٧٤) تاريخ الخلفاء ص : ٢٤٦ .

(٧٥) شذرات الذهب ١ : ١٢٨ .

(٧٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ١٨٠ وانظر الكامل فى التاريخ ٥ : ٦٧

(٧٧) الكتم : نبت فيه حمرة ، يخلط بالحناء ، وينبت فى أصعب الصخر.

كان عمر أسقطها ، ولو صاروا حرضا »[٧٨] .

والخبر السابق لا يُبيِّنُ الأنظمة المالية التى اقترحها عمر وطبقها ، ثم أعرض يزيد عنها ، وأبطلها ، وإنما يشير فقط إلى حالة واحدة ، وهى أن عمر كان رفع ضريبةً عن أهل اليمن ، ففرضها يزيد عليهم ، وطالب عامله باستخراجها منهم . ولا يكشف الخبر عن السياسة المالية التى أمر يزيد عماله بالتزامها فى الأمصار الأخرى .

وأورد ابن عبد ربه الخبر السابق دون إسناد محرفاً تحريفاً ظاهراً ، إذ تَحوَّلَ عنده من رسالة وَجَّهها يزيد إلى عامله باليمن إلى رسالة بعث بها إلى كافة عماله فى الأمصار ، يسألهم فيها أن يتركوا سياسة عمر ابن عبد العزيز ، ويستوفوا من أهل الأمصار الضرائب التى كانوا يُؤَدُّونها قبل عمر ، ويأخذوها منهم بالقهر ، وإنْ أَجْحَفَ ذلك بهم ، إذ يقول ابن عبد ربه : « كتب يزيد إلى عمال عمر : أما بعد ؛ فإن عمر كان مغروراً ، غررتموه أنتم وأصحابكم ، وقد رأيت كتبكم إليه فى انكسار الخراج والضريبة . فإذا أتاكم كتابى هذا ، فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده ، وأعيدوا الناس إلى طبقتهم الأولى ، أَخْصَبُوا أم أَجْدَبُوا ، حَيُّوا أم ماتوا »[٧٩] .

وممَّا يَدُلُّ على عبث الرواة بما حملوا من أخبار سياسة يزيد المالية ، وإدخالهم فيها أخباراً موضوعة أنها فى جملتها لا ترسم لسياسته صورة واحدة متسقة متشابهة ، فإن بعضها يعارض بعضاً ، وينقضه نَقْضاً . فإذا كان المدائنى روى أن يزيد أبطل إصلاحات عمر فإن الطبرى يذكر أنه كان يأبى على ولاته أن يظلموا المسلمين من غير العرب ، وينكر عليهم أن يعاملوهم معاملة أهل الذمة ، إذ يقول : « فى سنة اثنتين ومائة قُتِلَ يزيد بن أبى مسلم بإفريقية ، وهو والٍ عليها ، وكان سبب ذلك أنه كان عزم على أنْ يَسِيرَ بهم بسيرة الحجاج بن يوسف فى أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ، ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة ، فأسلم بالعراق ، ممن رَدَّهم إلى قراهم ورساتيقهم ، ووضع الجزية على رقابهم . على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم . فلما عزم على ذلك تآمروا فى أمره ، فأجمع رأيهم على قتله فقتلوه ، وَوَلَّوْا على أنفسهم الذى كان عليهم قبل يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج . وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار . . وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك : إنا لم نخلع أيدينا من الطاعة ، ولكن يزيد بن أبى مسلم سَامَنَا ما لا يَرْضَى اللهُ والمسلمون ، فقتلناه وأعدنا عاملك . فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك : إنى لم أَرْضَ ما صنع يزيد بن أبى مسلم ، وأقر محمد بن يزيد على

---

(٧٨) صاروا حرضاً : أشفوا على الهلاك .

(٧٩) العقد الفريد ٤ : ٤٤١

إفريقية »[٨٠]

وأخذ يزيد بن عبد الملك بقرارات عمر بن عبد العزيز التى أمر موظفيه بتنفيذها لرفع الظلم عن أهل خراسان وسمرقند ، وهو ظلم يتمثل فى فرض الجزية على من أسلم منهم . ولكن الدهاقين الذين استدعاهم سعيد بن عبد العزيز الأموى عامل خراسان ، واستشارهم فيمن يُوَجِّه إلى الكور لاستيفاء الخراج والجزية من أهلها أشاروا عليه بقوم من العرب كانت لهم بهم صلات ، وكانوا يحفظون للدهاقين مكانتهم الاجتماعية ، ويُؤَمِّنون لهم منافعهم المادية ، كما كانوا يوافقون الدهاقين على مطالبة المسلمين من الأعاجم بالجزية ، لأن الدهاقين كانوا يرشونهم ، مما كان سبباً فى تذمر الترك من أهل ما وراء نهر جيحون ، وفى ثورتهم على عمال سعيد[٨١] .

وتَجَبَّر سعيد بن عبد العزيز الأموى فى محاسبة موظفى المهالبة من اليمنية الذين اتهموا بسرقة الأموال تجبراً شديداً ، فقد رُفِعَ إليه أن جَهْمَ بن زَحْر الجعفى ، وعبد العزيز بن الحجاج الزبيدى ، والمنتجع بن عبد الرحمن الأزدى ، والقعقاع الأزدى ، وخمسة آخرين ، من اليمنية وَلُوا ليزيد بن المهلب . وعندهم أموال اختانوها من فىء المسلمين ، فحبسهم فى سجن مرو الشاهجان ، وعذبهم فَقُتِلَ ثلاثة منهم فى العذاب ، وأشرف الباقون على الموت[٨٢] .

ويرجع تَسَلُّطُ سعيد على موظفى المهالبة إلى عصبيته الأموية ، وسخطه على اليمنية ، لأنهم ناصروا المهالبة فى ثورتهم على يزيد بن عبد الملك ، ويرجع إلى تَحَيُّزِهِ للمضرية فى خراسان ، وتأثره بمناهضتهم لليمنية ، يشهد على ذلك تهاونه فى محاسبة عمال عبد الرحمن بن عبد الله القشيرى الذين ولوا لعمر بن عبد العزيز ، ورموا باحتجاز الأموال واحتيازها ، فإنه سجنهم ، ثم كَلَّمَهُ فيهم عبد الرحمن ، وضمن له عنهم سبعمائة ألف درهم ، فأطلقهم . ثم لم يأخذ عبد الرحمن بالأموال التى تكَفَّلَ بِدَفْعِها عنهم[٨٣] !

وبَلَغَ يزيدَ بن عبد الملك اضطراب الوضع المالى والعسكرى بخراسان ، وانكسارُ خراجها ، واشتعال ثورة الترك بسمرقند ، لفساد سياسة سعيد بن عبد العزيز الأموى ، وضعف خبرته الإدارية والحربية ، فأعفى أخاه مسلمة بن عبد الملك من ولاية العراق وخراسان ، واستعمل عليها عمر بن هبيرة الفزارى[٨٤] .

---

(٨٠) تاريخ الطبرى ٦ : ٦١٧ .

(٨١) تاريخ الطبرى ٦ : ٦٠٧ ، ٦٠٨ .

(٨٢) تاريخ الطبرى ٦ : ٦٠٦ .

(٨٣) تاريخ الطبرى ٦ : ٦٠٦ .

(٨٤) تاريخ الطبرى ٦ : ٦١٥ .

وحاول ابن هبيرة أن ينهج نهج سعيد بن عبد العزيز الأموى فى معاقبة موظفى المهالبة ، ومن كانوا يلوذون بهم ويؤيدونهم ، فأخذ قهرماناً ليزيد بن المهلب له علم بأهل خراسان وأشرافهم فحبسه ، فلم يَدَعِ القهرمان شريفاً إلاَّ قَرَفَهُ واتَّهمه ، فبعث ابن هبيرة إلى سعيد بن عمرو الحرشى عامله على خراسان أن يدفع إليه النفر الذين سَمَّاهم له ، لِيَسْتَأْدِيَهم ما عليهم من الأموال . فلم يفعل . فلما وَلَّى ابن هبيرة على خراسان مسلم بن سعيد الكلابى أمره بجباية تلك الأموال . وقدم مسلم فأراد أخذ الناس بالأموال التى قُرِفَتْ عليهم . فقيل له : إن فعلت هذا بهؤلاء لم يكن لك بخراسان قرار ، وإن لم تعمل فى هذا حتى توضع عنهم فسدت عليك وعليهم خراسان ، لأن هؤلاء الذين تريد أن تأخذهم بهذه الأموال أعيان البلد قُرِفُوا بالباطل . فبعث إلى ابن هبيرة وفداً أخبره بأنَّ ما رُفِعَ إليه هو الظلم والباطل ، وأنه ما على المُتَّهَمِينَ منه إلاَّ القليل ، ولو أُخِذُوا به أَدَّوْهُ . فكتب إلى مسلم بما قال الوفد ، وأمره أن يستخرج الأموال ممن ذكر الوفد أنها عندهم (٨٥) .

فيزيد بن عبد الملك لم ينقض خطة عمر بن عبد العزيز المالية الإصلاحية ، ولم يعرض عنها ، بل ظل يسترشد بها . ويأمر عماله فى خراسان وسمرقند وإفريقية بتطبيقها . ولكن بعض عماله كانوا يتغاضون عن توجيهاته وتعليماته ، ويهملونها ، دفعهم إلى التغاضى عنها والإهمال لها تحكُّم الإحن والضغائن القبلية فى نفوسهم ، ومجاهرتهم بمالأة المضرية ومناوأة اليمنية . وكان الدهاقين فى خراسان وسمرقند يغرون الموظفين العرب المشرفين على الخراج والجزية بالأموال ، فكانوا يَسْكُتُونَ عن فَرْضِ الدهاقين الجزية على من أسلموا من أهل الذمة ، واستمروا يأخذونها منهم فى خلافة هشام ، فأَزْمَنَتِ المشكلةُ وتأزَّمَت ، والتهبت سمرقند بالثورة ، ولم تزل ملتهبةً بها حتى وضع نصر بن سيار حَدًّا لتلاعب الدهاقين ، وحَلَّ المشكلة وفقاً لخطة عمر بن عبد العزيز ، فرفع الجزية عن المسلمين من الأعاجم ، وأجرى العطاء على مقاتليهم (٨٦) .

واشتغل يزيد بالجهاد وحماية الثغور ، إذ اندفع عماله وقادته بعد إحْبَاطِ ثورة المهالبة عليه ، واستتباب الحكم له يغزون فى بلاد الترك والروم على حدود الدولة الشرقية والشمالية والغربية ، ويحرزون الانتصار تلو الانتصار ، ففى سنة اثنتين ومائة غزا عمر بن هبيرة الروم بأرمينية . فهزمهم وأسر منهم بشراً كثيراً ، قيل سبعمائة أسير (٨٧) . وفيها أغزى يزيد بن أبى مسلم وهو بإفريقية محمد بن

---

(٨٥) تاريخ الطبرى ٧ : ١٩ ، ٢٠ .

(٨٦) تاريخ الطبرى ٧ : ١٧٣ .

(٨٧) تاريخ الطبرى ٦ : ٦١٦ ، وانظر تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٤ .

أوس الأنصارى فى البحر صقلية من بلاد المغرب ، وأغزى معه الناس ، فغنم وسلم[٨٨] . وغزا العباس بن الوليد بن عبد الملك ، فافتتح دَبَسَة من أرض الروم[٨٩] .

وفى سنة ثلاث ومائة غزا العباس بن الوليد أرض الروم[٩٠] . وغزا الوليد بن هشام بن عبد الملك أرض الروم ، فنزل على المخاضة عند أنطاكية[٩١] . وغزا مَعْلَقُ بن صَفَّار البهرانى أرمينية[٩٢] ، وغزا محمد بن مروان الصائفة الكبرى ، وعثمان بن حيان الصائفة الصغرى[٩٣] . وغزا يزيد بن مسروق اليَحْصُبى سردانية من أرض المغرب ، فغنم وسلم[٩٤] . وكفرت الصغد وساروا بأهاليهم وأموالهم إلى فرغانة ، وسار إليهم سعيد بن عمرو الحرشى ، فسألوه الصلح على أن يرجعوا إلى بلادهم ، ويؤدوا الجزية ، فخرج بعضهم ، وبقى بعضهم ، ثم خرجوا على الناس ، فقتلهم سعيد عن آخرهم ، وسبى ذراريهم[٩٥] .

وفى سنة أربع ومائة وَلَّى يزيد بن عبد الملك أرمينية الجراح بن عبد الله الحكمى ، فغزا وافتتح بَلَنْجَر[٩٦] . وغزا عثمان بن حيان المرى ، وعبد الرحمن بن سليمان الكلبى فنزلا على سَبِيرَة فافتتحاها ، وافتتحا قَيْصَرة من حصون الروم[٩٧] . وأغزى بشر بن صفوان وهو والٍ على إفريقية عمرو بن فاتك الكلبى فى البحر ، فغنم وسلم[٩٨] .

وفى سنة خمس ومائة غزا الجراح بن عبد الله الحكمى اللاَّنَ حتى أتى مدائن من وراء بَلَنْجَر ، ففتح بعضها ، وأجلى أهل بعضها ، وقتل وغنم[٩٩] . وغزا مروان بن محمد الصائفة اليمنى ، فافتتح مدينة من أرض الروم من ناحية عَبْخ[١٠٠] . وغزا سعيد بن عبد الملك بن مروان أرض الروم[١٠١] .

---

(٨٨) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧١ .
(٨٩) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٣ .
(٩٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٥ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٤ .
(٩١) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٤ .
(٩٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٥ .
(٩٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٥ .
(٩٤) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٥ .
(٩٥) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٥ وتاريخ الطبرى ٦ : ٦٢١ .
(٩٦) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٧ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ١٤ .
(٩٧) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٨ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٥ .
(٩٨) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٩ .
(٩٩) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٠ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٥ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١ .
(١٠٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨١ .
(١٠١) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١ ، وانظر تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٥ .

وغزا مسلم بن سعيد الترك . فلم يفتح شيئاً ، فقفل ، ثم غزا أُفْشِينة من مدائن الصَّغْد ، فصالح ملكها وأهلها[١٠٢] .

ولا تقاس الفتوحات التى أنجزت فى عهد يزيد وفى عهود الخلفاء السابقين له واللاحقين به بالفتوحات التى أنجزت فى أيام الوليد بن عبد الملك . ولكن ليزيد فضل المحافظة على رقعة الدولة الواسعة ، وحراسة حدودها المترامية من غارات الترك والروم .

واحتفل يزيد بالرعية ، فكان يجلس للوفود ، ويستقبل الناس ، وَيَتَفَرَّغ لمعالجة شئونهم ، وما رُفِعَ إليه من شكاياتهم ، مُطِيلاً التفكير فيها ، والتَّدَبُّر لها ، لا يمل ولا يسأم ولا ينصرف من مجلسه حتى يقضى أمر من قصده ، ويحل مشكلة من تَظَلَّمَ إليه[١٠٣] .

واعتنى ببقاء الخلافة فى الأسرة الأموية ، فبايع بولاية العهد لأخيه هشام بن عبد الملك ، ثم لابنه الوليد بن يزيد ، ليمنع المتمردين عليه من المهالبة ومن آزرهم من أهل العراق من أن يرجفوا بموته ، فينهار جنده ، ويصيب الوَهَنُ والفَشَلُ أهل الشام ، ويضطرب أمر الأمة[١٠٤] .

على أن يزيد إذا كان اهتم بشئون الدولة فى السنوات الثلاث الأولى من خلافته ، فإنه بعد أن محق ثورة المهالبة ، وتَوَطَّدَ سلطانه أخذ يفرغ لحياته الذاتية ساقه إلى ذلك أحواله الخاصة ، وتربيته المترفة ، ونشأته فى النعيم ونضارة العيش وما أحاطته به أمه من الحنان والدلال ، وما اتصف به من الفُتُوَّةِ والظَّرْفِ[١٠٥] ، فأرهف ذوقه ، وانغمس فى مباهج الدنيا وزينتها ، وانهمك فى طلب اللهو والمتعة واللذة ، فقد احتفى بثيابه وعطوره[١٠٦] ، واستهتر بأناقته[١٠٧] ، وشغف بالغناء شغفاً قويًّا جَرَّه إليه إقامته بالمدينة ، وتأثره بتحليل فقهاء الحجاز لسماع الغناء[١٠٨] ، وما أبصر من عكوف عامة أهل المدينة وخاصتهم عليه[١٠٩] . فتعلق بالغناء ، وجعل يعاشر المغنين ، ويطرب لغنائهم ، ويبذل لهم

---

(١٠٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١ .

(١٠٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٣٤٤ .

(١٠٤) نسب قريش ص : ١٦٣ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، والمجلد الثانى ص : ٢٣٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٩ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٣٠ ، والأغانى ٧ : ٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٩١ .

(١٠٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨٠ ، وانظر مرآة الجنان ١ : ٢٢٥ ، وشذرات الذهب ١ : ١٢٨ .

(١٠٦) التاج فى أخلاق الملوك ص : ١٥ ، ١٥٤ ، ١٥٥ .

(١٠٧) البيان والتبيين ٢ : ١٠٢ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨ . والعقد الفريد ٤ : ١٤٧ .

(١٠٨) العقد الفريد ٦ : ٦ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٢٩ ، والمختصر فى أخبار البشر ١ : ١٨٩ .

(١٠٩) الأغانى ٣ : ٣٠٣ ، ٦ : ٢١ ، ٨ : ٣٣٤ ، ١٤ : ١٢١ ، ١٥ : ١٤٠ ، وانظر العصر الإسلامى ص : ١٤١ .

الجوائز ، ويخلع عليهم الخلَع . فمن أخباره أنه قدم مكة ، فبعث إلى الغَرِيض سِرًّا ، فأتاه فَغَنَّاهُ صوتين فأمر له بجائزة سَنِيَّة[١١٠] . وحج فى أيام أخيه سليمان ، فاستمع لغناء ابن سُرَيْج فاستخفه ، فنزع حُلَّته وخَاتمه ودَفعها إليه[١١١] واستمع لغناء العالية التى سماها حبابة ، فسحرته بحسنها وروعة صوتها ، فاشتراها بأربعة آلاف دينار ، فَهَمَّ سليمان بالحجر عليه ، فَرَدَّها الى مولاها[١١٢] . ورأى سلامة القس بالمدينة ، وكانت أمة ظريفة تجيد الغناء ، وتتقن الضرب على العود ، فَفُتِنَ بها ، واشتراها فى خلافه سليمان[١١٣] . وكان يختلف فى المدينة إلى مغنية طاعنة فى السِنِّ ، تُدْعَى أم عوف[١١٤] .

فأغرم يزيد بالغناء قبل أن يلى الخلافة ، ولكنه كان يَتَستَّرُ على سماعه له ، وانهماكه فيه ، وكان يرتدع عن عشق القيان ، والصبابة بهن . فلما أفضت الخلافة إليه ، أسرف فى إقباله على الغناء بعض الإسراف ، واشترت له زوجه سعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان حبابة ، لتحظى عنده ، وأخذت عليها قبل أن تَهَبَها له أن تُوَطِّئَ لابنها عبد الله[١١٥] فى ولاية العهد[١١٦] ، ويقال : إن زوجه زينب بنت محمد بن يوسف الثقفى هى التى ابتاعتها له ، وشرطت عليها أن ترشح ابنها الوليد لولاية العهد ، فوفت لها بذلك[١١٧] .

وملكت حبابة قلب يزيد ، وأصبحت تتصرف فى شئون الدولة ، وتتدخل فى تَعْيين الولاة ، فقد تَوَسَّل بها الأحوص إلى يزيد . فغنّته بشعره ، فَرَقَّ يزيد له ، وصفح عنه ، وأخرجه من السجن ، وقَرَّبَهُ ، وكان سليمان بن عبد الملك جَلَدَهُ وَحَبسهُ بِدَهْلَك ، لفساد خلقه ، ورفض عمر بن عبد العزيز الإفراج عنه[١١٨] . وسعت حبابة عند يزيد لتولية عمر بن هبيرة الفزارى العراق ، ولم تزل تعمل له ، وابن هبيرة يحمل الهدايا إليها حتى استجاب يزيد لها ، واستعمله على العراق[١١٩] .

---

(١١٠) الأغانى ٢ : ٣٨٢ .

(١١١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨٤ ، والأغانى ١ : ٢٥٩ .

(١١٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣ ، والأغانى ١٥ : ١٢٤ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ١٢٢ .

(١١٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨٥ ، والأغانى ٨ : ٣٤٣ .

(١١٤) الأغانى ١٥ : ١٤٢ .

(١١٥) جمهرة أنساب العرب ص : ٩١ .

(١١٦) الأغانى ١٥ : ١٢٤ .

(١١٧) الأغانى ١٥ : ١٢٤ .

(١١٨) الأغانى ٤ : ٢٤٨ .

(١١٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ١٨٤ ، ١٩٠ ، والأغانى ١٥ : ١٢٧ .

ولم يقتصر يزيد على سلامة القس وحبابة ، فقد كان يستقدم المغنين من المدينة ، مثل معبد[١٢٠] ، وابن عائشة[١٢١] ، ومالك بن أبى السَّمْح[١٢٢] . وكان معبد وابن سُرَيْج يزورانه ويمكثان عنده ، يغنيانه فيجيزهما[١٢٣] .

فأكبَّ يزيد على سماع الغناء ، وانقطع إلى القيان ، وأكثر من طلب مباهج الدنيا وملاهيها ، وأعلن طلبه لها وأظهره ، وأولع بحبابة ولعاً شديداً دون تحرُّجٍ أو مبالاةٍ أو مراعاةٍ لهيبة الخلافة وجلالها . فعابه الناس ، وامتعض أخواه مسلمة[١٢٤] ، وهشام[١٢٥] من سلوكه ، واستهجنه الفقهاء وأنكروه[١٢٦] ، واتَّكأ عليه زعماء بعض الأحزاب المعارضة فى مهاجمة يزيد ، ومهاجمة بنى أمية ، والتأليب عليهم ، والدعوة إلى الوثوب بهم ، إذ كان أبو حمزة الشارى إذا ذم بنى مروان أشار إلى يزيد فقال : « أقعد حبابة عن يمينه ، وسلاَّمة عن يساره ، ثم قال : أريد أن أطير ! فطار إلى لَعْنَةِ الله وأليم عَذَابه »[١٢٧] !

ومع أن المسعودى[١٢٨] ، وأبا الفرج[١٢٩] ، ومن نقل عنهما من المؤرخين المتأخرين[١٣٠] يجمعون على أن يزيد استَبان الرُّشْدَ بعد أن لاَمَهُ أخوه مسلمة وزَجَره ، فتاب ، وأقلع عن اللهو ، وجفا حبابة ، وندم على ما فَرَطَ منه[١٣١] ، فإنهم يختمون حياته بالضلال بعد الصلاح ، إذ يقولون : إن هَجْرَهُ لحبابة غلظ عليه ، فدخلت إليه واعترضته والعود فى يدها ، فَغَنَّتْهُ أبياتاً للأحوص فى العشق والصبابة ، فأسرته ، وعاد إلى الانقطاع إليها والتَّلَهِّى بها[١٣٢] . ولم يزل معها حتى خرج بها إلى بيت

(١٢٠) الأغانى ١ : ٣٧ .

(١٢١) مروج الذهب ٣ : ٢٢٨ ، والأغانى ١ : ١٠٩ .

(١٢٢) الأغانى ٥ : ١٠٩ .

(١٢٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ١٨٤ .

(١٢٤) مروج الذهب ٣ : ٢١٢ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٧١ .

(١٢٥) العقد الفريد ٤ : ٤٤٣ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٠٨ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٤٨ ، والأغانى ١٥ : ١٢٨ ، وشذرات الذهب ١ : ١٢٨

(١٢٦) العقد الفريد ٤ : ٤٤٣ ، ومروج الذهب ٣ : ٢١٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٣٣٩١ ـ جـ ١٨ ، الورقة : ١٦٢ ط ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٣٢ .

(١٢٧) انساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨٧ ، ٣٧٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٢ ، ومروج الذهب ٣ : ٢١٠ ، والفخرى فى الآداب السلطانية ص : ١١٨ ، والكامل فى التاريخ ٥٠ : ١٢١ .

(١٢٨) مروج الذهب ٣ : ٢٠٨ .

(١٢٩) الأغانى ١٥ : ٢٩ .

(١٣٠) شذرات الذهب ١ : ١٢٨ .

(١٣١) مروج الذهب ٣ : ٢٠٨ ، والأغانى ١٥ : ١٢٨ ، وشذرات الذهب ١ : ١٢٨ .

(١٣٢) مروج الذهب ٣ : ٢٠٨ ، والأغانى ١٥ : ١٢٩ ، وانظر البدء والتاريخ ٦ : ٤٨ ، وشذرات الذهب ١ : ١٢٨ .

رأس من إربد بالأردن ، فأكلت رمانة فشرقت بحبة منها ، وماتت[١٣٣] . فحزن عليها حزناً طويلاً ، وَوَجَد بها وَجْداً عظيماً . فصده أخوه مسلمة عن الخروج فى جنازتها حتى لا يظهر منه للناس شىء يسفهه عندهم[١٣٤] .

وحمل أبو الفرج رواياتٍ مختلفة عن حال يزيد بعد موت حبابة ، ففيما يرويه شيوخه عن مسلمة بن عبد الملك أن يزيد جزع عليها فى بعض أيامه ، فقال : انبشوها حتى أنظر إليها ! فقيل له : تَصِيرُ حَدِيثاً ! فرجع فلم ينبشها[١٣٥] . ويأخذ أبو الفرج عن المدائنى مباشرة وبينهما أجيال من الرواة ! أن يزيد اشتاق إلى حبابة بعد ثلاثة أيام من دفنه إياها ، فقال : لابُدَّ أنْ تُنْبَشْ ! فَنُبِشَتْ ، وكُشِفَ له عن وَجْهِهَا ، وقد تَغَيَّر تغيراً قبيحاً ، فقيل له : كيف قد صارت ! فقال : ما رأيتها قط أحسن منها اليوم ! أخرجوها ، فجاءه أخوه مسلمة وَوُجُوه أهله ، فلم يزالوا به حتى أزالوه عن ذلك ودفنوها ، وَانْقَرفَ ، فكمد كَمَداً شديداً حتى مات فدفن إلى جانبها[١٣٦] .

والخيال واضح فى قصة عشق يزيد لحبابة ، فقد حاكى صانعها قصص الحب العذرى ، وصاغها على مثاله ، وأكثر ما يبدو ذلك فى تطور أحداثها وتَعَقُّدها ، وفى انتهائها بهلاك يزيد حزناً على حبابة ، ودفنه بقرب قبرها ! مما نسبه أبو الفرج إلى المدائنى ، ولم يذكر المصدر الذى استمد رواية المدائنى منه ، ومما يخالف ما نقله بعض المؤرخين من أن يزيد مات بالطاعون[١٣٧] . وكانت بيئة دمشق موبوءة بهذ المرض ، ومات به بعض الخلفاء الأمويين .

وما يبدو فى أخبار يزيد بن عبد الملك من تَنَاقُضٍ وتَهْوِيلٍ وافتعالٍ مَبْعَثُه الميول السياسية لبعض الكتّاب الذين ناصروا العباسيين فى القرن الثالث ، ودافعوا عن حقهم فى الخلافة ، بعد أن نَدَّد أهل السُّنّة والجماعة[١٣٨] بنظريتهم فى وراثة الملك ، وانتقدوها ، متخذين من تفخيم معاوية وإحياء سيرته ، وتعظيم مناقبه ، واعتباره المثل الأعلى للخليفة الفاضل العادل وسيلة إلى التعبير عن بَرَمِهم بالعباسيين ، وتَذَمُّرهم من سياستهم . وبدأت معارضة أهل السنة والجماعة للعباسيين فى آخر أيام

---

(١٣٣) مروج الذهب ٣ : ٢٠٩ ، والأغانى ١٥ : ١٤٣ ، وانظر الأخبار الموفقيات ص : ٥١٩ ، والكامل ، للمبرد ٢ : ٢٥٤ .

(١٣٤) مروج الذهب ٣ : ٢٠٩ ، والأغانى ١٥ : ١٤٥ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٤ .

(١٣٥) الأغانى ١٥ : ١٤٤ .

(١٣٦) الأغانى ١٥ : ١٤٤ .

(١٣٧) العقد الفريد ٤ : ٤٤٥ .

(١٣٨) انظر حركة أهل السنة والجماعة فى كتاب استحقاق الإمامة للجاحظ ، برسائل الجاحظ للسندوبى ص : ٢٤١ ، والجاحظ فى البصرة ص : ٢٧٢ ، والعباسيون الأوائل ص : ١٩٥ .

الرشيد[١٣٩] ، واشتدت فى عهد المأمون[١٤٠] ، مما أزعج العباسيين وأقلقهم ، وزعزع نظريتهم فى وراثة الملك ، فهبُّوا لمقاومة أهل السنة والجماعة بالتَّخويفِ والإرهاب والتهديد بأقسى العقاب ، حتى لقد أمر المأمون منادياً فنادَى : « بِرِئَتِ الذِّمَّةُ ممن ذَكَرَ معاويةَ بِخَيْرٍ أو فَضَّلَهُ على أحدٍ من أصحاب رسول الله »[١٤١] .

وأوحى العباسيون إلى كتابهم السياسيين أن ينافحوا عن حقهم فى الخلافة . وُيَدَلِّلُوا على صحة نظريتهم فى وراثة الملك . ونهض الجاحظ لهم بذلك ، فألف « رسالة العباسية »[١٤٢] ، التى تحدث فيها عن وراثة الأنبياء ، والتمس كل شاهدٍ ليبرهن على سلامتها ، وخَطَّأ أبا بكرٍ ، لأنه رفضها ولم يعمل بها ، واستغل إثارة العلويين لوراثة النبى ليخلص منها إلى تسويغ وراثة العباسيين له ، لأنهم أقرب إليه ، فهم أبناء عمه العباس بن عبد المطلب .

وانبرى الجاحظ فى سائر رسائله السياسية التى ناضل فيها عن العباسيين لتجريح الأمويين والقدح فيهم ، والطعن عليهم ، فجردهم من المحامد والفضائل ، ونسب إليهم المعايب والرذائل ، ونفى من تاريخهم كل مظاهر السداد والقوة ، وَمَلأَه بما قدر عليه من العجز والتقصير والفساد والانحراف ، ما يتضح فى رسالة : « فضل هاشم على عبد شمس »[١٤٣] ، فإنه عرض فيها تاريخ الهاشميين والأمويين فى الجاهلية والإسلام عَرْضاً تَحَيَّزَ فيه للعباسيين وقَدَّمهم ، وكَفَّر الأمويين وَجَرَّمهم . ثم استقصى القول فى الميراث ، ليدعم به احتجاجه لحق العباسيين فى الخلافة . وللغاية نفسها صنف الجاحظ « رسالة بنى أمية »[١٤٤] . وهو يُشَهِّر فيها بالأمويين من سفيانيين ومروانيين ، وَيسْلُبُهُم مكارمهم ومساعيهم ، ويلحق بهم القبائح والمثالب ، ويتهمهم بمخالفة الإسلام ، وتعطيل حدوده ، ويعيب عليهم بطشهم بالعلويين والزبيريين ، ويرميهم بظلم الرعية ، والحكم بالهوى والشفاعة . وشَنَّع فيها على يزيد بن عبد الملك كما شنع على غيره من الخلفاء الأمويين ، فقد سماه « يَزِيد الخَلِيع »[١٤٥] ، واسترذل إقرار عمر بن عبد العزيز ببيعته ، وَعَدَّ توليته له أمر المسلمين خروجاً على الإسلام ، وتجاوزاً لأحكامه وشرائعه .

---

(١٣٩) تاريخ الطبرى ٨ : ٣٥٣ .

(١٤٠) تاريخ الطبرى ٨ : ٦٣٢ .

(١٤١) تاريخ الطبرى ٨ : ٦١٨ .

(١٤٢) رسائل الجاحظ للسندوبى ص : ٣٠١ .

(١٤٣) رسائل الجاحظ للسندوبى ص : ٦٧ ، وشرح نهج البلاغة ١٥ : ١٩٨ .

(١٤٤) رسائل الجاحظ للسندوبى ص : ٢٩٢ .

(١٤٥) رسائل الجاحظ للسندوبى ص : ٢٩٤ .

وساهم الرواة والعلماء الذين استَحْكَمَ فى نفوسهم بُغْضُ الأمويين ، وكانت لهم صلاتٌ بالعباسيين فى إبراز الجانب اللاهى من سيرة يزيد بن عبد الملك ، ولَجُّوا فى تَضْخِيمِهِ ، ودَسُّوا عليه أخباراً مُحرَّفةً أو مُزَيَّفةً أَبْعَدَتْهُ من الواقع ، وجعلته كالخيال ! وانتهز فرصة مهاجمة العباسيين للأمويين رُواةُ اليمنية وعلماؤهم من طيئ وكلب وهمدان والأزد ، وكان فيهم أَنَفَةٌ لقبائلهم ، وعصبيةٌ على بنى أمية ، لأنهم أبادوا كل من خرجوا عليهم من رؤساء اليمنية ، وفتكوا بهم فتكاً ذريعاً[١٤٦] . فَدَبَّ الشِّقاقُ بين القبائل اليمنية العراقية وبنى أمية فى نهاية القرن الأول ، واستَفْحَل فى مستهل القرن الثانى ، ثم استطار العداء بين القبائل اليمنية الشامية وبنى أمية فى خلافة الوليد بن يزيد ، فاستَيْأَسَ اليمنية من عودة السلطان إليهم ، وتَجَدَّدِ ثقة الأمويين بهم ، وانْتَظَمَ بعض سادتهم بخراسان والعراق فى صفوف الدعوة العباسية ، وكانوا من القوى الأساسية التى آزرت الثورة العباسية[١٤٧] ، فاستوعبهم العباسيون ، واستخدموهم فى الولايات . ويُستَفَادُ من شعر الشعراء من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية[١٤٨] أن قادة اليمنية كانوا يستشعرون نكبة الأمويين لهم ، وجنايتهم عليهم ، وتحكيمهم المضرية من قيس وتميم فى رقابهم ، كما كانوا يستشعرون تاريخهم الجاهلى والإسلامى ، مُهَوِّلِينَ له ، ومُعْتَزِّينَ به ، ومستعلين على المضرية بما نالوا من النفوذ والشهرة فى عهد العباسيين .

وفى أخبار يزيد بن عبد الملك شواهد تكشف عن صنيع رواة اليمنية وعلمائهم ، فقد اخترعوا بعض الأخبار التى تظهر انصرافه إلى حبابة ، وتَبَذُّله معها تَبَذُّلاً قبيحاً يُسْرَدُ فى أسلوبٍ ساخرٍ يَنُمُّ عن الحقد والكيد ، وشَوَّهُوا بعض أخباره الصحيحة المعتدلة[١٤٩] التى رواها عمر بن شَبَّة[١٥٠] ، والمدائنى[١٥١] .

(١٤٦) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٨٩ ، ٥٩٠ . ٧ : ٢٥٤ .

(١٤٧) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٦ ، ورسالة مناقب الترك للجاحظ ، برسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ١ : ٢٢ ، والأخبار الطوال ص : ٣٦٩ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٥٦٢ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٨١ .

(١٤٨) الأغانى ٣ : ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ومعجم الشعراء ص : ٣٤٢ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ٤ : ١٧٦٢ ، وديوان بشار ١ : ٣٣٧ ، ٣٤٥ ، ٢ ، ٢٤٧ ، ٣ ، ٥٣ ، ١٨٨ .

(١٤٩) انظر أخبار يزيد وحبابة التى رواها عمر بن شبة والمدائنى فى الأغانى ١٥ : ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، وقارنها برواية حاتم بن قبيصة المهلبى ، والهيثم بن عدى الطائى ، وخالد بن يزيد الخزاعى ، وعبد الله بن عياش الهمدانى ، وأبى غانم الأزدى فى الأغانى ١٥ : ١٢٢ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، وفى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ١٨٠ .

(١٥٠) انظر ترجمته فى الفهرست ص : ١١٢ ، وتاريخ بغداد ١١ : ٢٠٨ ، ومعجم الأدباء ٦ : ٤٨ ، ونور القبس ص : ٢٣١ ، وبغية الوعاة ص : ٣٦١ .

(١٥١) انظر ترجمته فى تاريخ الطبرى ٨ : ١٢٤ ، والفهرست ص : ١٠٠ ، وتاريخ بغداد ١٢ : ٥٤ ، ومعجم الأدباء ٥ : ٣٠٩ ، وميزان الاعتدال ٣ : ١٥٣ ، ولسان الميزان ٤ : ٢٥٣ ، ونور القبس ص : ١٨٢ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ٢٥٩ ، وضحى الإسلام ٢ : ٣٤٣ ، ونشأة علم التاريخ عند العرب ص : ٣٩ .

واستغل الفرصة علماء الزبيريين ، كمصعب بن عبد الله ، والزبير بنَ بكَّار ، وهم على ما يوصفون به من التَّدْقيق والصِّدْقِ فِي الرواية [١٥٢] ، كانوا مَغيظين من الأمويين ، خانقين عليهم ، لأنهم أحبطوا ثورة عبد الله بن الزبير ، وقتلوه ، وَضَيَّقوا على الزبيريين بالمدينة . وكان العباسيون يعرفون فَضْلَ الزبيريين فى العلم ويُقَدِّرونه ، وكانوا يعرفون كُرْهَهم للأمويين ، فاستمالوهم وانتفعوا بهم فى العلم والسياسة ، فقد قدم مصعب إلى بغداد ، وأقام بها ، وتوفى فيها [١٥٣] ، ووفد الزبير بنَ بكَّار إلى بغداد ، فاختاره المتوكل مؤدباً لولده . ثم ولاّه قضاء مكة ، وأجزل له الصلة [١٥٤] . وألف الزبير كتابه : « الأخبار الموفقيات » للموفق بن المتوكل ، وسَمَّاه باسمه [١٥٥] .

ومن الطبيعى بعد ذلك أن يُحابِيَ مصعب بن عبد الله ، والزبير بن بكَّار العباسيين ، وأن يتحَاملا على الأمويين فى بعض ما رويا من أخبارهم ، إرضاء لأهوائهما ؛ ونفاقا للعباسين الذين اصطنعوهما ، ويظهر تحاملهما على يزيد بن عبد الملك فى اقتصارهما على رِوايةِ أخباره الذاتية اللاهية ، وجمْعِها لها جَمْعاً وافياً ، فكانَا مصدر أغلب الروايات التى تُصَوِّرُ علاقاته العفيفة والبذيئة بالمغنيات والمغنين [١٥٦] . كما يظهر فى إغفالهما لبقية أخباره الرسمية فى أيام ولايته للعهد ، وفى أيام خلافته ، على كَثْرتها وتنوُّعها وأهَميتها .

وشارك المؤرخون من أصحاب الميول السياسية الواضحة المكشوفة ، والخفية المستورة فى تشويه سيرة يزيد ، فأخباره بسيطة صافية ، لا اضطراب فيها ، ولا تَعَارُضَ بينها فى كتب المؤرخين المتقدمين الذين لم يتأثروا فى عرضهم لسيرته وَسِيرَةِ غيره من الخلفاء الأمويين بالحزازات القبلية القديمة . والظروف السياسية الجديدة التى طرأت بعد قيام الدولة العباسية ، وهى واسعة مفصلةٌ تضم الصحيح والمنحول والمصنوع فى كتب المؤرخين المحايدين الذين اهتموا بحشد كل ما وصل إليهم من أخباره وأخبار غيره من الخلفاء الأمويين برواياتها المختلفة ، وهى فاسدة مُوَجَّهةٌ فى كتب المؤرخين والأدباء الذى أخضعوا مؤلفاتهم لنزعاتهم الحزبية ، أو الذين أسَّسُوا كتبهم على منهج الانتخاب من الأخبار ، وهى قليلة مُمَحَّصةٌ فى كتب بعض المؤرخين المتأخرين الذين لاحظوا الخَلْطَ والوضع فيها ،

---

(١٥٢) انظر دراسة الأستاذ محمود شاكر للزبير بن بكار وشيوخه وعلمه ومقدار الثقة به فى المقدمة التى كتبها لكتاب جمهرة نسب قريش ص : ٥٥ – ٧٢ .

(١٥٣) الفهرست ص : ١١١ ، وتاريخ بغداد ١٣ : ١١٤ .

(١٥٤) الفهرست ص : ١١٠ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٤٦٧ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٣١١ ، والبداية والنهاية ١١ : ٢٤ .

(١٥٥) انظر مقدمة الدكتور سامى مكى المعانى لكتاب الأخبار الموفيات ص : ٢٤ .

(١٥٦) الأغانى ٤ : ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٨ : ٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ١٥ : ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٤٥ .

فَفَحَصُوها ومَيَّزوا بينها ، ثم أثبتوا الموثق منها ، وشكوا فى الضعيف الذى لم يجمع العلماء عليه ، وأسقطوا الملفق المخترع الذى لا يصمد للنَّقْدِ .

فترجمة يزيد فى تاريخ خليفة بن خياط (١٥٧) ، وهو أقدم ما وصل إليه من كتب التاريخ . مُتَّزِنةٌ مُعْتَدِلَةٌ ، خالية من الشوائب والعيوب ، سليمةٌ من التناقض والاضطراب ، إذ عَرَض فيها لاستخلاف يزيد ، وما وقع فى عهده من أحداث عسكرية وسياسية ، وما تَمَّ من غزوات وفتوحات ، ثم أحْصَى عُمَّاله وموظفيه ، ولم يَعْبَأْ بحياته الخاصة ، وتَرَفه ولهوه .

وترجمته فى أنساب الأشراف (١٥٨) هى أشمل ترجمةٍ له فى كتب التاريخ . فقد استَوْفى البلاذرى فيها سيرته الذاتية والرسمية ، واستقصاها فى الرِّوايات المَدَنيةِ والعراقية ، دون إيجاز فى جانب ، وتركيز على جانب آخر ، وبغير تحيُّز له ، أو تحزبٍ عليه ، مع التَّعَمُّق فى الإبانة عن الخصائص التى تميَّزت بها شخصيته وسياسته ، والتدقيق فى البحث عن دوافعها وبواعثها . فساق البلاذرى أخبار يزيد التى تتصل بأسرته ونشأته وأزواجه وأولاده ، ومزاجه ، وشغفه بالنعيم ، وكلفه بالغناء ، وسَرَدَ أخباره التى تتصل بولايته للعهد وخلافته ، وخلع المهالبة لطاعته ، وأسبابه الشخصية والقبلية ، ونتائجه السياسية ، وألَمَّ بثورات الخوارج على عماله فى الشام والعراق والبحرين ، وإخمادهم لها .

وتُشْبِهُ تَرْجَمَتُهُ فى تاريخ اليعقوبى (١٥٩) تَرْجَمَتهُ فى تاريخ خليفة بن خياط شبهاً كبيراً ، وتُماثِلُها فى عناصرها ومادتها ، فقد وقف عند نسبه ومبايعته بالخلافة ، وسياسته الإدارية والمالية والقضائية ، وعَدَّدَ ولاته وقضاته فى الأمصار المختلفة ، وموظفيه فى دمشق ، ووصف ما حدث فى أيامه من فِتَنٍ فى العراق وخراسان وإفريقية ، وما أُنْجِزَ فيها من غزوات وفتوحاتٍ . ولم يتأثر اليعقوبى بميوله الشيعية أو بمحاباته للعباسيين فى ترجمته ليزيد ، وأهمل الحديث عن حياته الخاصة ، ولم يورد شيئاً من أخبار ترفه ولهوه ، وربما كان السبب فى مجاملته ليزيد انتصافه لفاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب من عبد الرحمن بن الضحاك الفهرى ، عندما شَكَتْهُ وذكَّرَتْهُ بقرابتها ورحمها .

وعَرَضَ الطبرى للأحداث الكبرى فى خلافة يزيد ، مثل ثورة المهالبة ، وأسبابها ونتائجها ، وأحْصى عُمَّاله ، وما واجهوا من مشكلات فى خراسان وإفريقية ، وما حققوا من انتصارات (١٦٠) ،

---

(١٥٧) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧١ – ٤٨١ .

(١٥٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٧٩ – ٢٣٤ .

(١٥٩) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٠ – ٣١٥ .

(١٦٠) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٧٤ – ٦٢٢ ، ٧ ، ٧ – ٢٢ .

معتمداً على الروايات المَدِنِّيةِ والعراقية التى اعتمد البلاذرى عليها . وعندما شرع فى الترجمة ليزيد . و بَسَطَ القول فى سيرته حتى استكملها [١٦١] ، تَأثَّر بمنهجه فى كتابة التاريخ ، الذى كان ثمرة دراساته الدينية ، ومعرفته بالحديث والفقه . وهو منهج أقامه على الاختيار من الروايات المُسْنَدة ، ولم يَتَطَّرق إلى نقد ما اختاره منها ، بل قَدَّمَهُ كما وجَدَه ، مُكْتَفِيًا بِقُوَّةِ أسانيده ، ومُلْقِياً تَبِعَةَ ما فيه من الحقائق والأوهام ، ومن الصواب والخطأ على رُواته وحَمَلَتِه [١٦٢] . وهو مَنْهَجٌ يَدُلُّ ظاهِرُهُ على تَجَرُّدٍ ونَزَاهةٍ ، ولكن جوهره يَدُلُّ على رأيٍ سابقٍ ، والأخبارُ المنتقاة تجلُو هذا الرَّأى ، وتكشف عنه . ويُسْتَشَفُّ من الأخبار التى اصطفاها الطبرى وارتضاها ، وشَكَّلَ منها ترجمة يزيد أنه كان من أوائل المؤرخين الذين تَدَّخلُوا فى رسم صورته ، وحاولوا إظهار الجانب اللاهى من سيرته ، فقد انتخب الأخبار التى تُوضِّحُ عناية يزيد بالإماء والغناء ، وجعلها مُمثلة لأبرز سِماتِ شخصيته وسياسته !

وتلقط أكثر المؤرخين بعد ذلك أخبار يزيد الفاحشة ، وَحَمَل بعضهم أخباراً مُهَوَّلةً أو مُفْتعلة أرادوا بها تضخيم مُجُونِهِ وانْحِلاَله ! فترجمته فى العقد الفريد [١٦٣] مختصرة اختصاراً مُخِلاً مُحَرَّفاً عن ترجمته فى « تاريخ خليفة بن خياط » و « أنساب الأشراف » و « تاريخ اليعقوبى » فإن ابن عبد رَبِّه اختار الأخبار التى تظهر فساد سيرة يزيد ، والتواء سياسته ، ودَمَج بعضها فى بعض ، وحَوَّرَ فى غيرها ، وزاد عليها زيادات أزالتها عن أصولها لتلائم ما انتهى إليه من أنه كان صاحب لهْوٍ ولَذَّاتٍ ، وصاحب حَبَّابة وسَلاَّمة [١٦٤] . مما يُفْصِحُ عنه الخبر الذى اتَّهَمَهُ فيه بِهَدْمِ إصلاحات عمر ابن عبد العزيز المالية ، وَوَصَمَه بالجور على الرعية فى كافة أقطار الدولة [١٦٥] ، وهو خَبَرٌ وَلَّدهُ من خبر رواه المدائنى رواية أخرى [١٦٦] ليس فيها تَعسُّفُ ابن عبد ربه وتَعْمِيمُه ! ويفصح عنه الخبر الذى صَوَّر فيه وفاة يزيد ، ونَسَبه إلى الزُّبير بن بكَّار ، إذ يقول : « قال الزبير بنَ بكَّار : كان يزيد ابن عبد الملك كَلِفاً بحبّابةَ كَلَفا شديداً ، فلما تُوُفِّيَتْ أكَبَّ عليها يَتَشَمَّمُها أياماً حتى أنْتَنَتْ ، فأخذ فى جِهَازِها ، وخرج بين يَدىْ نَعْشِها ، حتى إذا بلغ القَبْرَ نَزَل فيه . فلما فَرَغَ من دَفْنِها . لصق به مَسْلمةُ أخوه يُعَزِّيه ويُؤْنِسُه ، فقال : قاتل الله ابن أبى جُمْعَة ! كأنه كانَ يَرَى ما نحن فيه حيث يقول :

---

(١٦١) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٢ – ٢٤ .

(١٦٢) نشأة علم التاريخ عند العرب ص : ٥٥ .

(١٦٣) العقد الفريد ٤ : ٤٤١ – ٤٤٥ .

(١٦٤) العقد الفريد ٤ : ٤٤١ .

(١٦٥) العقد الفريد ٤ : ٤٤١ .

(١٦٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص ١٨٠ .

فإنْ تَسْلُ عنك النَّفْسُ أَوْ تَدَعِ الهَوَى فَبِالْيَأْسِ تَسْلُو عَنْك لاَ بالتَّجَلُّد
وكُلُّ خَلِيلٍ زَارَنِى فهو قَائِلٌ مِنَ اجْلِكِ : هذا مَيِّتُ اليوم أَوْ غَدِ

قال : وَطُعِنَ فِى جَنازتها ، فدَفَنَاهُ إلى سبعة عشرَ يوماً »[١٦٧]

فالخبر لم يَرِدْ على هذه الصورة فى مصادر القرن الرابع التى نَقَلَ أصحابها روايات الزبير بن بكار نَقْلاً دقيقاً ، وإنما هو مؤلفٌ مُشْتَقٌّ من ثلاثة أخبار : روى أبو غانم الأزدى أَوَّلَها [١٦٨] ، وَروَى المدائنى ثانيها[١٦٩] ، وروى الزُّبَيْرُ بنُ بكَّار ثَالِثَها [١٧٠] !

وَنَحا مطهر بن طاهر المقدسى فى ترجمته ليزيد [١٧١] نَحْوَ ابن عبد ربه ، واتَّبَعَ مَنْهجهُ ، فإنه انتخب من أخبار يزيد ما يوافق وَصْفه له بالطيش والبطش ، وما يطابق حكمه عليه بالحمق والفسق !

واختصر مؤرخو الشيعة وأدباؤهم فى القرنين الرابع والخامس على أخبار يزيد الفاحشة القبيحة ، التى تُشْهر به وتسىء إليه ، مع ما فى أسانيدها ومتونها من قرائن قوية تشير إلى ضَعْفِهَا ، وتُرَجِّحُ بُطْلانها ، وأفرطوا فى إشاعة الأخبار التى تطعن فيه ، والتى ليس لها أصول عند غيرهم من المؤرخين .

فقد استهل المسعودى سيرة يزيد [١٧٢] بالحديث عن غَلَبة حَبَّابة وَسلاَّمة عليه ، ثم حشد الأخبار التى تُظْهِره بِمَظْهَرِ الخليفة الماجن ، الممعن فى المجون ، حتى عاتبه إخوته ، ولامه للفقهاء ، وأضاف إليها أخباراً يتوقف سندها عند رواة القرن الثالث . تقدح فى عقيدة يزيد ، وتفصح عن عطفه على كفار قريش ، منها قوله : « ذكر إسحاق الموصلى قال : حدثنى ابن سلام قال : ذكر يزيد قول الفند الزِّمَّانى فى حرب البسوس ، فقال لحبابة : غَنِّنى به بحياتى ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، هذا شعر لا أعرف أحداً يغنى به إلاَّ الأحول المكى ، فقال : نعم ، قد كنت سمعت ابن عائشة يعمل فيه ويترك . قالت : إنما أخذه عن فلان ابن أبى لهب ! وكان حسن الأداء . فَوَجَّه يزيد إلى صاحب مكة : إذا أتاك كتابى هذا ، فادفع إلى فلان ابن أبى لهب ألف دينارٍ لنفقة طريقه ، واحمله على ماشاء من دواب البريد ، فَفَعل : فلما قدم عليه قال : غَنِّنى بشعر الفِنْدِ ، فغناه فأجاد وأحسن ، وقال : أعِدْهُ ، فأعاده فأجاد وأحسن ، وأطرب يَزيد . فقال له : عمّن أخذت هذا الغناء ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أخذته عن أبى ، وأخذه أبى عن أبيه ، فقال : لو لم تَرِثْ إلاَّ هذا الصوت لكان أبو

(١٦٧) العقد الفريد ٤ : ٤٤٤ .
(١٦٨) الأغانى ١٥ : ١٤٣ .
(١٦٩) الأغانى ١٥ : ١٤٤ .
(١٧٠) الأغانى ١٥ : ١٤٥ .
(١٧١) البدء والتاريخ ٦ : ٤٦ – ٤٨ .
(١٧٢) مروج الذهب ٣ : ٢٠٧ – ٢١٥ ، وانظر التنبية والإشراف ص : ٢٧٧ – ٢٧٨ .

لهب ورَّثكم خيرا كثيراً ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إن أبا لهب مات كافراً مؤذياً لرسول الله ﷺ ، فقال : قد أعلم ما تقول ! ولكنى دخلتنى له رقة إذ كان مجيداً للغناء ، ووصله وكساه ورده إلى بلده مكرماً »[١٧٣]

ومثله خبر ثانٍ ذكره المسعودى دون إسناد ، يصرح فيه أن يزيد وابنه الوليد أشركا فى لهوهما . فقد غنَّى ابن عائشة يزيد بشعر فأطربه ، وقيل : إنه ألحد وكفر فى طربه . وكان فيما قال لساقيه : اسقنا بالسماء الرابعة ! فكأن ابنه الوليد ورث الطرب فى هذا الشعر عن أبيه[١٧٤] !

وحَذَا أبو الفرج حَذْوَ المسعودى فى عرض أخبار يزيد الذاتية اللاهية عَرْضاً مُوَجَّهاً ، يزرى به وينال منه ، مما يُبَيِّنُهُ ما جمعه من أخبار يزيد مع حبابة[١٧٥] وسلامة[١٧٦] ، فأكثر ما أورده أبو الفرج منها استقاه من علماء الزبيرين واليمنيين ، وفيه أخبارٌ مصنوعة ، كهذا الخبر الذى أخذه عن الزبيريين فقال : « رَوَى الزبير عن مصعب بن عثمان ، عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال : خرجت مع أبى إلى الشام فى زمن يزيد بن عبد الملك ، فلما ماتت حبابة ، وأخرجت لم يستطع يزيد الركوب من الجَزَع ولا المشْىَ ، فَحُمِل على منْبرٍ على رقاب الرجال ، فلما دُفِنَتْ قال : لم أصَلِّ عليها ، انبشوا عنها ! فقال له مسلمة : نَشَدْتُكَ الله يا أمير المؤمنين ، إنما هى أمة من الإماء ، وقد واراها الثَّرى . فلم يأذن للناس بعد حبابة إلاَّ مرة واحدة ، قال : فو الله ما استَتَمَّ دخول الناس حتى قال الحاجب : أجيزُوا رحمكم الله ، ولم يَنْشَبْ يزيد أن مات كَمَداً »[١٧٧] .

فَسَنَدُ الخبر ونَصُّهُ يدلان على أن عروة بن الزبير عاصر يزيد بن عبد الملك إلى آخر أيامه ، وشهد موته ألماً على حبابة سنة خمس ومائة ، وعروة بن الزبير تُوُفِّىَ فى الروايات الضعيفة الرديئة سنة مائة[١٧٨] ، وتُوُفِّى فى الروايات الصحيحة الراجحة سنة ثلاث وتسعين ، أو سنة أربع وتسعين[١٧٩] ، فهو لم يُدْرك موتَ يزيد ولا خلافته حتى لو أخذنا بالروايات الضعيفة الرديئة ! مما يَقْطعُ بِتَوْليدِ الخبر وتلْفِيقِهِ !

---

(١٧٣) مروج الذهب ٣ : ٢٠٨ .

(١٧٤) مروج الذهب ٣ : ٢٢٨ .

(١٧٥) الأغانى ١٥ : ١٢٢ – ١٤٥ .

(١٧٦) الأغانى ٨ : ٣٣٩ – ٣٥١ .

(١٧٧) الأغانى ١٥ : ١٤٥ .

(١٧٨) البداية والنهاية ٩ : ١٠٣ .

(١٧٩) الطبقات الكبرى ٥ : ١٨٢ ، وتاريخ خليفة بن خياط ١ : ٤٠٧ ، والمعارف ص : ٢٢٢ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٤٩١ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٢٥٨ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٠٣ ، وانظر نشأة علم التاريخ عند العرب ص : ٦٢ .

واستمد ابن الطقطقى حديثه عن سيرة يزيد وخلافته [١٨٠] من المسعودى ، فقد لَخَّصَ ترجمته فى « مروج الذهب » تلخيصاً مبتسراً ، وأطلق عليه أحكاماً مُجَرَّدةً مُتَعَسِّفَةً ، وأنكر كل ما كان فى عهده من غزوات وانتصارات ، إذ افتتح ترجمته له بقوله : « كان يزيد خليع بنى أمية ، وشغف بجارتيين : اسم الأولى سلامة ، واسم الأخرى حبابة ، فقطع معها زَمَانه [١٨١] ، ووصف خلافته بقوله : « لم تكن دولة يزيد طائلةً ، ولا وقع فيها من الفتوح والوقائع ما تَحْسُنُ حكايته »[١٨٢] .

وتتفاوت سيرة يزيد فى كتب التاريخ المتأخرة بين الطول والقصر ، ولكنها على تفاوتها يمكن أن تُصَنَّفَ فى ضربين : أما الضرب الأول فتعلق أصحابه بأخبار يزيد الذاتية اللاهية ، وساقوا كل ما وصلهم منها . وابن عساكر [١٨٣] خير من يمثل المؤرخين المتأخرين الذين قبلوا تلك الأخبار ، ولمْ يُفَرِّقُوا بين صحيحها ومنحولها ، وقد التزم بمنهج المحدثين فسرد أخبار يزيد بأسانيدها ، ولم يُلْق بالاً إلى توثيق رجال السَّنَد ، فَحَمَل أكثر أخبار يزيد القديمة التى تُجَرِّحُهُ وتسخر منه ، وحمل معها أخباراً جديدة مخترعة ، تتهم يزيد بالانسلاخ من الدين ، ونَسَبَ إليه شعراً فى إنكار البَعْثِ والحسابِ والثَّوابِ والعقاب [١٨٤] ، رواه المسعودى [١٨٥] ، وألصقه بالوليد بن يزيد ! وهو شعرٌ مُوَلَّدٌ من قصيدة لبجير ابن عبد الله القشيرى ، أو لأبى بكر بن الأسود المعروف بابن شعوب الليثى [١٨٦] فى رثاء المغيرة بن هشام المخزومى .

وبالرغم مما تَخَلَّلَ ترجمة يزيد فى « تاريخ دمشق » من أخبار عقيمةٍ مخترعة ، فإن ابن عساكر أورد فيها أخباراً جديدة تصور عناية يزيد بالحديث والفقه ، ورعايته للعلماء [١٨٧] .

وابن الأثير من المؤرخين المتأخرين الذين سَلَّموا بما بلغهم من أخبار يزيد المُوَثَّقةِ والمختلقة [١٨٨] ، فإنه نقل ترجمة يزيد عن تاريخ الرسل والملوك وأخذ بالأخبار التى اختارها الطبرى ، ولم يزد عليها شيئا من « أنساب الأشراف » ، مع أنه رجع إليه . وقابل بين ما جاء فيه وفى « تاريخ الرسل والملوك »

---

(١٨٠) الفخرى فى الآداب السلطانية ص : ١١٨ – ١١٩ .

(١٨١) الفخرى فى الآداب السلطانية ص : ١١٨ .

(١٨٢) الفخرى فى الآداب السلطانية ص : ١١٩ .

(١٨٣) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، جـ ١٨ ، الورقة ١٦١ و – ١٦٤ ظ .

(١٨٤) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، جـ ١٨ ، الورقة : ١٦٢ ظ .

(١٨٥) مروج الذهب ٣ : ٢٢٩ .

(١٨٦) انظر نسب قريش ص : ٣٠١ ، والاشتقاق ص : ١٠١ ، والمؤتلف والمختلف ص : ٧٦ ، والحور العين ص : ١٩١ ، وخزانة الأدب ٣ : ٢٢٧ ، ٤ : ١٤ .

(١٨٧) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، جـ ١٨ ، الورقة : ١٦١ ظ ، ١٦٢ جـ .

(١٨٨) الكامل فى التاريخ ٥ : ١٢٠ .

من أخبار ، وانتفع به فى استدراك ما أغفله الطبرى من أخبار بعض الخلفاء الأمويين .

وتَمَسَّكَ الذهبى [١٨٩] ، وابن شاكر الكتبى [١٩٠] ، وابن العماد الحنبلى [١٩١] ، بأخبار يزيد الذاتية اللاهية ، التى تزرى به ، وبالأخبار التى تعيبُ سياسته الإدارية والمالية ، واقتصروا عليها ، وأهملوا الأخبار التى توضح اهتمامه بشئون الدولة المختلفة .

وأما الضرب الثانى من سيرة يزيد فى كتب التاريخ المتأخرة ، فكان أصحابه أشد رَوِّيةً وأناةً ، وأكثر تدقيقاً وتمحيصاً ، ومن أجل ذلك فإنهم تَحَرَّزوا مما تراكم لديهم من أخبار يزيد ، ودفعهم ما فيها من اضطراب وتعارض إلى امتحانها ومحاكمتها ، فأبقوا منها ما اطمأنوا إليه ، وحذفوا ما ارتابوا منه ، وما تَيَقَّنوا من افتعاله .

وأبو الفداء [١٩٢] ، واليافعى [١٩٣] ، وابن تغرى بردى [١٩٤] ، والسيوطى [١٩٥] ، من المؤرخين المتأخرين الذين نَخَلُوا أخبار يزيد وحَقَّقُوها . فعادت سيرة يزيد فى كتبهم بسيطة متوازنة ، كما بدأت فى كتب المؤرخين المتقدمين المعتدلين . وعلى قصر سيرته عندهم جميعاً ، فإنها تتضمَّنُ المعالم الأساسية لحياته وخلافته ، مُصَفَّاةً من الأخبار المُحَرَّفَةِ والمَصْنُوعَةِ ، مُبرأَةً من الأحكام السريعة .

وتميز ابن كثير من المؤرخين ، المتأخرين بالإفاضة فى الترجمة ليزيد [١٩٦] ، دون تَحَيُّزٍ له ، أو تَجَنٍّ عليه ، فقد اصطفى مادة سيرته مما استقام له من أخبار يزيد فى أنساب الأشراف ، وتاريخ الرسل والملوك ، ومروج الذهب ، وتاريخ دمشق ، وساقها مُسْنَدةً إلى روايتها ومصادرها ، لأنه كان يأخذ بمنهج المحدثين . فعرض لأسرة يزيد ومولده ، وتربيته وثقافته ، وحياته الخاصة ، وما اشتهر به من التنعم ، وطلب الملاهى ، والصبابة بحبابة ، وتحدث عن خلافته وُعَمَّاله . وما كان فى عهده من فَتنٍ وخروقٍ ، وما أُنْجِزَ فيه من مغازٍ وفتوح . ونفى عنه ما قذفه به المسعودى وابن عساكر من ضعف العقيدة ، وجزم بحسن إسلامه إذ قال : « اتهمه بعضهم فى الدين وليس بصحيح » [١٩٧] .

---

(١٨٩) العبر فى خبر من غبر ١ : ٢٢٤ .

(١٩٠) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، جـ ٥ ، الورقة : ١٥ و .

(١٩١) شذرات الذهب ١ : ٢٢٨ .

(١٩٢) المختصر فى أخبار البشر ١ : ٢٠١ .

(١٩٣) مرآة الجنان ١ : ٢٢٤ .

(١٩٤) النجوم الزاهرة ١ : ٢٥٥ .

(١٩٥) تاريخ الخلفاء ص : ٢٤٦ .

(١٩٦) البداية والنهاية ٩ : ٢١٩ – ٢٣٣ .

(١٩٧) البداية والنهاية ٩ : ٢٣٢ .

وللشعراء الإسلاميين من موالى بنى أمية ، ومن الشيعة الكيسانية والزيدية ، ومن اليمنية والمضرية والربعية قصائد كثيرة فى مديح يزيد ، تدل على احترامهم له ، وإشادتهم بتقواه وعدله ، وحفاظه على كيان الدولة ، وحراسته للدين ، فقد مدحه نُصَيْبُ بن عبد الرحمن ، مولى عبد العزيز بن مروان ، ويبدو أنه نَوَّه به تنويهاً سياسياً رائعاً ، طرب له يزيد واستحسنه فملأ فَم نُصَيْبٍ جوهراً لم يزل به غَنياً حتى مات [١٩٨] . ولكن ميول أبى الفرج الشيعية جعلته يوردُ الخبر ، ويسقط الشعر !

وفَخَّمهُ كثير بن عبد الرحمن الخزاعى ، شاعر الكيسانية [١٩٩] الذى لم يكن ينسى أصوله وعواطفه اليمنية [٢٠٠] ، فأشار إلى استقرار الأحوال فى زمن يزيد ، وما حققه للمسلمين من عدالةٍ وعزةٍ ومكانة رفيعة ، لما اتصف به من سماحة النفس ، وشدة البأس ، وعلُوِّ الهِمَّة ، وقوة العزيمة ، فكان إمام الهدى الذى وَفَّقَهُ الله ، وَحَنَّكَتْهُ الأيام ، يقول [٢٠١] :

إلى الأَبْيضِ الجَعْدِ ابن عاتكة الذى ... له فَضْلُ مُلْكٍ فِى البَرِّيةِ غَالبِ
كريـــمٌ يُؤولُ الرَّاغِبُـــونَ بِبَابِهِ ... إلى واسع المعروفِ جَزْلِ المَواهبِ
إمامُ هُدًى قد سَدَّدَ الله رَأْيَهُ ... وقد أَحْكَمَتْهُ ماضياتُ التَّجاربِ
ولمْ يَبْلُغ السَّاعُونَ فِى المجدِ سَعْيَهُ ... ولم يُفْضلُوا إفْضَالَهُ فِى الأقاربِ

ويقول معجباً برعايته للمسلمين . وداعياً له بالخير والبركة ، ومستنزلا له الرحمة من الله والملائكة [٢٠٢] :

جَزَى الله حَيًّا بالمُوَقَّرِ نَضْرَةً ... وجَادَتْ عليهِ الرَّائحاتُ الهواتِكُ [٢٠٣]
بكلِّ حَثِيثِ الوَبْلِ زَهْرٍ غَمَامُهُ ... له دِرَرٌ بالقَسْطَلِيْنِ حَواشِكُ [٢٠٤]
كما قد عَمْمتَ المؤمنينَ بِنَائلٍ ... أبا خالدٍ صَلَّتْ عليكَ المَلائِكُ

ويقول مستشفعاً له فى المهالبة بعد أن مَحَق ثورتهم ، ونكَّل بهم . مَدْفُوعاً إلى استِشْفاعه فيهم بأو صر النسب والقربى التى كانت تشده إليهم بالرغم من تَشَيُّعِهِ للكَيْسَانِيَّة ، ومُطْرِياً أخلاقه النبيلة ، وكَظْمَهُ للْغَيْظ ، ومحاسَبَتَهُ لِعَدُوِّه إنْ وَقَعَ بيده حِساباً نَزِيهاً فى غير شَطَطٍ ولا طغيان ، أو صَفْحَه عنه

---

(١٩٨) الأغانى ١ : ٣٧٠ .

(١٩٩) الأغانى ٩ : ٣ .

(٢٠٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٣ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٤٣ .

(٢٠١) ديوانه ص : ٣٤١ .

(٢٠٢) ديوانه ص : ٣٤٩ .

(٢٠٣) الهواتك : السحب التى تمطر بالليل . والموقر : قرية جنوبى عمان من الأردن ، كان ليزيد قَصْرٌ بها .

(٢٠٤) القَسْطَل : قرية جنوبى عمان من الأردن ، كان ليزيد قصر بها . الحواشك : السحب كثيرة الماء غزيرته .

صَفْحاً جميلاً ، مُسْتَعطِفاً له أنْ يَغْفِرَ للمهالبة ذَنْبَهم ، فَيُسَجِّلَ لنفسه فَضْلاً جَلِيلاً باقياً . ومضى يَعْتَرِفُ بِجُرْمِهم ، ويتمنَّى عليه أن يَكُفَّ عنهم ، ويُشْفِقَ عليهم ، مُرَدِّداً أنَّ أعظم الحلمِ حلم المُحْنَقِ الثَّائر وأن أحْسَنَ العَفْوِ عَفْوُ المُتَمَكِّنِ القادر ، فقد مزَّق المهالبة ، ورَوَّع بقاياهم ، وطَرَدَهم القرشيون وأنصارهم من القبائل اليمنية الشامية عن مكة ، فهاموا على وُجُوههم ، وأصبحوا مُشَرَّدين فى الأرض [٢٠٥] :

حليمٌ إذا ما نَالَ عَاقَبَ مُجْمِلاً أَشَدَّ العِقابِ أو عَفَا لم يُثَرَّبِ [٢٠٦]
فَعَفْواً أمير المؤمنين وحِسْبَةً فَمَا تَكْتَسِبْ مِنْ صالحٍ لَكَ يُكْتَبِ
أساءُوا فإنْ تَغْفِرْ فإنَّكَ قادِرٌ وأَفْضَلُ حِلْمٍ حِسْبَةً حِلْمُ مُغْضَبِ
نَفَتْهُمْ قُرَيْشٌ عن أباطحِ مَكَّةٍ وذُو يَمنٍ بالمَشْرَفِيِّ المُشَطَّبِ [٢٠٧]

ويذكر أبو الفرج أنَّ الكميتَ بن زيد الأسدى شاعرَ الزَّيدية كان يفد على يزيد بن عبد الملك ، ويمدحه ، غير أنه لمْ يُنْشِدْ شيئاً من الشعر الذى مَدَحَهُ به [٢٠٨] !

وأشاد به الأحوص من شعراء الأوس ، وكان شديد الفخر بدور جده وخاله فى الإسلام ، مُتَسَخِّطاً على الأمويين ، لأنهم تنكَّروا للأنصار ، وأبْعَدُوهم عن مراكز النفوذ ، ومَنَعُوهم من المشاركة فى السياسة ، هَجَّاءً للقرشيين ، مُطاوِلاً لهم . فأمر سليمان بن عبد الملك بَجْلده وسَجْنه فى دَهْلَك ، فلم يزل مَنْفِيًّا بها فى خلافة سليمان وعمر بن عبد العزيز [٢٠٩] ، حتى وَلِىَ يزيد ، فأطلقه ، فَتَحوَّل إليه ، وأخذ يُقَلِّدُهُ المدائح البديعة . وفيه يقول مُجِلاً شَخْصِيَّتَهُ ، وكَرَمَه الذى لا يُبارَى ، ومُقَدِّراً اتِّباعَهُ للحقِّ ، وحمايَتَه للدين ، مما أَعَزَّ المسلمين ، وأضْعَفَ المشركين [٢١٠] :

مَنْ يَكُنْ سائلاً فإنَّ يزيداً مَلِكٌ من عَطائِهِ الإكثارُ
عَمَّ مَعْرُوفُهُ فَعَزَّ به الدِّ ينُ وَذَلَّتْ لِمُلكه الكُفَّارُ
وأقامَ الصِّراط فابْتَهَجَ الحَـ ـقُّ مُنِيراً كما أَنارَ النَّهارُ

ويقول مُثْنِياً على سَعَة خَيْره ، وكَثْرَةِ برِّه ، وسَبْقه للمكارم ، خَالعاً عليه هالةً من القداسة ،

---

(٢٠٥) ديوانه ص : ٣٥١ .

(٢٠٦) المجمل : الذى لا يسرف فى الانتقام . والتثريب : الإفساد والتخليط .

(٢٠٧) المشطب : السيف ذو الطرائق . وفى الديوان : « ذى يمن » والتصويب من تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٣ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٤٣ .

(٢٠٨) الأغانى ١٧ : ٢٣ .

(٢٠٩) الأغانى ٤ : ٢٤٦ .

(٢١٠) الأغانى ٤ : ٢٥١ ، وانظر شعر الأحوص ص : ٩٠ .

ورافعاً له إلى منزلة أئِمَّةِ الشيعة ، فهو عنده « امامُ هُدًى » و « إمامٌ مُبارَكٌ » شملَ الناس بإحسانه ، ونَشَر العدل فى الأرض [٢١١] :

كريمُ قُرَيشٍ حينَ يُنْسَبُ والذى ... أَقَرَّتْ لهُ بالمُلْكِ كَهْلاً وأَمْرَدا
وليسَ وإنْ أعطاكَ فى اليومِ مَانِعاً ... إذَا عُدْتَ مِنْ أضعافِ أضعافِهِ غدا
أهانَ تِلاَدَ المالِ فِى الحَمْدِ إنَّهُ ... إمامُ هُدًى يَجْرى على ما تَعَوَّدَا
وما كان مَالى طارِقاً من تِجارةٍ ... وما كانَ مِيراثاً من المالِ مُتْلَدَا
ولكنْ عَطاءٌ مِنْ إمام مُبارِكٍ ... مَلاَ الأرضَ مَعْروفاً وعَدْلا وسُؤددا

وتَسَارعَ إليه شعراء تميم ، وحَفُّوا به فَرحين بِقْمعِه للمهالبة ، وإفنائه لهم . إذْ هَدَّدوا القبائلَ مِن قريشٍ وتميمٍ وقيس تَهْديداً قويًّا ، وتَدافَعُوا يؤكّدون حق الأمويين فى الخلافة ، فهم أهْلُها الشَّرْعِيُّون ، وَرِثُوها عن عثمان بن عفان ، واختارهم الله لها ، وجعلهم الأوصياء على عباده . وأضفوا على يزيد صفات الورع والطهر والجلال . ففيه يقول جرير هاتِفاً بتوفيق الله له ، وأنه إمام العدل « وخليفة الله » ومُنَدِّداً بالمهالبة الذين خرجوا عليه ، وعادًّا ثورتهم به مُرُوقاً من الدين ، فَمكَّنَهُ الله من قَهْرِهم ، كما نَصَرَه من قَبْلُ على غيرهم [٢١٢] :

زُورُوا يزيدَ فإنَّ الله فَضَّلَهُ ... واسْتَبْشِرُوا بِمَرِيعِ النَّبتِ مَحْبُور [٢١٣]
لمَّا بَلَغْتُ إمامَ العدلِ قلتُ لهمْ : ... قدْ كانَ من طُولِ إدْلاجى وتَهْجِيرى
يا ابن المهلَّبِ إنَّ الناس قدْ عَلِمُوا ... أنَّ الخِلاَفَةَ لِلشُّمِّ المَغَاوِيرِ
خليفة الله إنِّى قد جَعَلْتُ لكمْ ... غُرًّا سوابقَ من نَسْجى وتحْبِيرى
زَانَ المنابِرَ واخْتالَتْ بِمُنْتَجَبٍ ... مُثَبَّتٍ بكِتَابِ الله منصُورِ [٢١٤]
يَكْفِى الخليفةَ أنَّ الله فَضَّلَهُ ... عَزْمٌ وَثِيقٌ وعَقْدٌ غيرُ تَغْرِير [٢١٥]
كم مِنْ عَدُوٍّ فَجَدَّ الله دابِرَهُم ... كادُوا بمَكْرِهِمُ فارْتَدَّ فى بُورِ
وكان نَصْراً من الرحمن قَدَّرَهُ ... والله رَبُّك ذُو مُلْكٍ وتَقْدِيرِ

ويقول مُمَجِّداً خلقه الكريم ، وطاقته الفذة ، وسياسته المستقيمة ، ونضاله الباسل عن ديار

(٢١١) الأغانى ٤ : ٢٥٠ ، وانظر شعر الأحوص ص : ٦١ .
(٢١٢) ديوانه ١ : ١٤٧ .
(٢١٣) المريع : الخصيب . والمحبور : المسرور .
(٢١٤) المنتجب : المختار المصطفى .
(٢١٥) غير تغرير : لا يقود إلى الهلكة .

العرب والمسلمين ، ومواساته لليتامى والمحتاجين ، فإذا القبائل من قريش والأوس والخزرج وقضاعة وحمير وقيس وتميم مطيعةٌ له . مُسْتَبْشرةٌ به ، وناقِداً المهالبة الذين نَابَذوه وحَاربُوه ، فَعَصوا رَبَّهم ، واستَخَفُّوا بإرادته وقَضائه ، فأهلكهم اللهُ لطغيانهم كما أَهْلَكَ ثمودَ مِنْ قَبْلِهم ، مَسْرُوراً بما لحقهم من القتل والحبس ، فقد ذاقوا ما يستحقون من العذاب (٢١٦) :

لما مَلَكتَ عَصَا الخلافةِ بَيَّنَتْ ... للطَّالبِين شَمَائِلٌ ونجارُ (٢١٧)
ساسَ الخلافة حينَ قامَ بِحَقِّها ... وحَمَى الذِّمارَ فما يُضَاعُ ذِمارُ (٢١٨)
ويزيدُ قد عَلِمَتْ قريشٌ أنَّهُ ... غَمْرُ البحورِ إلى العُلاَ سَوَّارُ (٢١٩)
إنَّ الخليفةَ لليتامَى عِصْمةٌ ... وأَبُو العيالِ يَشُفُّه الإقتارُ (٢٢٠)
صَلَّى القبائلُ من قريش كُلِّهِمْ ... بالموسْمَيْن عليكَ والأنْصَارُ (٢٢١)
تَرْضَى قُضاعةُ ما قَضَيْتَ وسَلَّمَتْ ... لِرِضًى بِحكْمِكَ حِمْيَرٌ ونِزَارُ
قَيْسٌ يَرَوْنَكَ ما حَيِيتَ لهمْ حَيَاً ... ولآلِ خِنْدفَ مُلْكُكَ استِبْشَارُ
آلُ المُهَلَّبِ فَرَّطُوا فِي دِينهمْ ... وطَغَوْا كما فَعَلَتْ ثَمُودُ فَبَارُوا
لمَّا أَتَوْك مُصَفَّدِين أَذِلَّةً ... شُفِيَ النُّفوسُ وأُدْرِكَ الأَوْتَارُ

ومدحه الفرزدق بغير قصيدة ، ففيه يقول مُعَظِّماً شخصيته ، لخيره الذى يَعُمُّ الناسَ فى الشدائد والأزمات ، وما له من مجد عريق ورثه عن أجداده السفيانيين والمروانيين ، مُصَرِّحاً بأن الخلافة تَحَدَّرت إليه من عثمان بن عفان ، وأن الأُمَّة دانت له . كما خَضَعَت الوحوشُ له وسَبَّحَتْ بحمده ، لِتَقَائِهِ واتِّقَائِهِ الله ، فهو طاهرٌ قريبٌ من الله ، ينزلُ بمنزلةِ الصِّدِّيقينَ والأنبياء (٢٢٢) :

أَخُو شَتَواتٍ يَرْفَعُ النارَ لِلْقِرَى ... إذا كَعَمَ الكلب اللَّئِيمُ وأَخْمَدَا (٢٢٣)

---

(٢١٦) ديوانه ٢ : ٦٤٦ .

(٢١٧) النجار : الأصل . وعصا الخلافة : قضيب النبى الذى كان الخلفاء يخطبون به .

(٢١٨) الذمار : ما يحق على الرجل أن يحميه .

(٢١٩) سوار : وَثَّابٌ نهَّاض .

(٢٢٠) وأبو العيال : الواو ليست عاطفة ، كأنه قال : حين أبو العيال يَشُفُّه الاقتار . ويَشُفُّه : يُؤذِيه . والإقتار : تَقْديمُ القليلِ لأهله .

(٢٢١) الموسمان : مكة ومِنىً .

(٢٢٢) ديوانه ١ : ١٤٤ .

(٢٢٣) الشتوات : سنوات الجدب والقحط . وكعم الكلب : ألجَمهُ لئلا ينبح ويدل عليه الضيوف . وأخمد : أطفأ النار حتى لا يعرف أحدٌ منزله .

وَرِثْتَ ابْنَ حَرْبٍ وابْنَ مروانَ والذى به نَصَر الله النَّبِىَّ مُحَمَّدا (٢٢٤)
تَرَى الوَحْشَ يَسْتَحْيِينَهُ إذْ عَرَفْتَهُ لهُ فَوْقَ أركانَ الجَرَاثيمِ سُجَّدا (٢٢٥)
ولو صَاحَبَتْهُ الأنبياءُ ذَوُو النُّهَى رأَوْهُ معَ المَلْكِ العظيمِ المُسَوَّدا

ويقول مُنَوِّهاً بأجداده السفيانيين والمروانيين ، وَمُكَرِّرًا أن الأمويين أَوْلى بالخلافة من غيرهم ، فإن لهم حقًّا ثابتاً فيها ، دَافَعُوا الناسَ عنه بسيوفهم ، وواصفاً له بأنه « الإمام » الذى يمده الله بِقُوَّتِه ، ويَمْحَقُ أعداءه ، مُسْتَهْجِناً وُثُوبَ يزيد بن المهلب عليه ، ومعرباً عن سعادته بِقَتْلِهِ وَصْلِبه (٢٢٦) :

سِيرُوا ولا تَحْفِلُوا إتْعَابَ رَاحِلةٍ إلى إمامٍ بسيفِ اللهِ مَنْصُورِ
حَرْب ومروانُ جدّاكَ اللَّذَانِ لهما مِنَ الرَّوابِى عظماتُ الجَماهِيرِ (٢٢٧)
غَلَبْتُم الناسَ بالَحقِّ الذى لكمُ عليهمْ وبِضَرْبٍ غير تَعْذِيرِ (٢٢٨)
لقدْ عَجِبْتُ مِنَ الأزدىِّ جاءَ بهِ يَقودُه للمنايا حَيْنُ مَغْرُورِ
حَتَّى رآه عبادُ اللهِ فِى دَقَلٍ مُنَكَّساً وهوَ مَقْرُونٌ بِخنزيرِ (٢٢٩)

ويقول مُثْنِياً على تَدَيُّنِهِ ، وسُمُوِّ مكانتِه ، واهتمامه بشئون الرعية ، وبلائه فى الدفاع عن الإسلام بلاءً حسناً ، حتى كان أعظم من حَافَظَ عليه بَعْدَ الرسول وأصحابه ، مُشَبِّهاً المهالبة بِكُفَّار قريش ، ومُبْتَهِجاً بإيقاعه بهم ، وقضائه عليهم (٢٣٠) :

وأنت غِياثُ الأرض والناسِ كلِّهِمْ بكَ اللهُ قد أحْيا الذى كان بالِيَا
وما وَجدَ الإسلامُ بَعْدَ مُحَمدٍ وأصحابِهِ لِلدِّينِ مِثْلَكَ رَاعِيَا
أرىَ اللهُ بالإسلامِ والنَّصْرِ جاعلاً على كَعْبِ مَنْ نَاوَاكَ كَعْبَكَ عَالِيَا
لقدْ عَلِمَ الفُسَّاقُ يومَ لَقيتهُمْ يزيدُ وحُوَّاكُ البُرودِ الْيَمَانِيا
ضَرَبْتَ بسيفٍ كان لاقَى محمدٌ به أهلَ بَدْرٍ عاقِدينَ النَّواصِيَا (٢٣١)

---

(٢٢٤) الذى نَصَر الله به النبىَّ : عثمان بن عفان .
(٢٢٥) الجراثيم : الأماكن المرتفعة .
(٢٢٦) ديوانه ١ : ٢١٤ .
(٢٢٧) جمهور كل شىء : معظمه .
(٢٢٨) التعذير : التقصير .
(٢٢٩) الدقل : الخشبة الطويلة .
(٢٣٠) ديوانه ٢ : ٣٥٢ .
(٢٣١) عقد ناصيته : غضب وتهيأ للشر .

أراهُمْ بنومروانَ يَوْمَ لَقُوهُمُ ببابل يَوْماً أخْرجَ النَّجْمَ بادِيَا
بَكَوْا بِسُيوفِ الله لِلدِّين إذْ رأوْا معَ السُّودِ والحُمْرانِ بالعَقْرِ طاغيا

ويقول مُلَقِّباً له بإمام الهدى ، والمصطفى المنتظر ، ومشيداً بحمايته للإسلام ، وعنايته بالمسلمين ، وتأييد الله له فى محاربة المهالبة ، وإبادته لهم ، لأنهم بَغَوْا وتَجبَّروا كالفراعين (٢٣٢) :

إمامٌ كأَىٍّ مِنْ إمامٍ نَمَى به وشَمْسٍ وبَدْرٍ قد أضاءَ فَنَوَّرا
وكان الذى أعْطاهُما الله منهما إمامَ الهُدى والمصطفى المُتَنَظَّرا
فكمْ مِنْ مَصَلٍّ قد رَدَدْتَ صلاتَهُ له بعد ما قد كانَ فِى الروم نَصَّرا
به دَمَّرَ اللهُ المزوُن ومن سعى إليهم كما كانَ الفَراعينَ دَمَّرَا

ويقول مُنَوِّهًا بِذَبِّهِ عن الإسلام ، وما يأخذ به نفسه من الورع وخشية الله ، والعدل فى الحُكْم ، والمواساة للناس (٢٣٣) :

أَرَى الله قد أَعْطَى ابنَ عاتكة الذى لهُ الدِّينُ أمْسَى مُسْتَقِيمَ السَّوالِفِ (٢٣٤)
تُقَى اللهِ والحُـكْمَ الذى لَيْسَ مِثْلَهُ ورأفةَ مَهْدِىٍّ على الناسِ عَاطِفِ

ويقول هاتفاً بحق الأمويين فى الملك ، وأن الله أراده لهم ، وجعلهم الأولياء على الناس ، فجاهدوا فى سبيل الله ، ونصروا الإسلام ، رافعاً يزيد على الخلفاء الأمويين . ومُمَيِّزاً له منهم ، إذ فَضَلَهُمْ بتقواه ونُسكِه وطُهْرِهِ الذى لا يُقارِبُه طُهْرُ البشر ، فَوَهَبَهُ الله الخلافة ، وأرشده وأيَّده (٢٣٥) :

هل تعلمونَ بنى أمية قاتَلُوا إلاَّ بسَيْفِ نُبُوَّةٍ لمْ يُغْلِلِ
ضَرَبُوا بِحَقٍّ نُبُوةٍ كانتْ لهمْ وسيوفُ أُسْد خَفِيَّةٍ لم تَنْكُلِ (٢٣٦)
أَعْطَى ابنَ عاتكة الذى ما فَوْقَهُ غير النُّبُوَّةِ والجَلالَ الأجْلَلِ
سُلْطَانَهُ وعَصـا النَّبِىِّ وخاتماً ألْقى لـه بِجِرانِهِ والكَلْكَلِ (٢٣٧)

ويقول مؤكدا استحقاق الأمويين للخلافة ، لأنهم ورثة النبى ، ومُجِلا شخصية يزيد ومقدرته ، وزاعماً أنه لو لم تنته النُّبُوَّات ، ولم تُخْتَم الرِّسالاتُ ، لَبَعَثَه اللهُ نبياً فِى الناس (٢٣٨) :

---

(٢٣٢) ديوانه ١ : ٣٤٦ .
(٢٣٣) ديوانه ٢ : ١٧ .
(٢٣٤) السالفة : جانب العنق .
(٢٣٥) ديوانه ٢ : ١٢٥ .
(٢٣٦) خفية : أجمة فى سواد العراق ينسب إليها فيقال : أسود خفية . وتنكل : تجبن .
(٢٣٧) الجران : باطن العنق .
(٢٣٨) ديوانه ٢ : ٢٨٢ .

وَلَو كانَ بعدَ المُصْطَفى مِنْ عِبادِهِ نبىٌّ لهمْ منهمْ لأَمْرِ العَزائمِ
لكنَت الذى يَخْتَارُهُ الله بَعْدَهُ لِحَمْلِ الأماناتِ الثِّقالِ العَظائمِ
وَرِثْتُم خَلِيلَ الله كُلَّ خِزانةٍ وَكُلَّ كتابٍ بِالنُّبُوَّةِ قائمِ

ومدحه النابغة الشيبانى بقصائد عديدة ، يقول فى إحداها مُتَغَنِياً بنسبه الساطع ، وأسرته الماجدة ، وتَرْبيتها له تربية صالحة جعلته أهلاً للسيادة ، وهَيَّأتهُ لِتَوَلِّى الحكم ، فهو نقى العرض ، صافى النفس ، ماضى العزم ، حسن العقيدة ، واسع المعروف ، صاغة الله للملك ، وَحَباهُ الخلافة ، فنهض بأعبائها ، وأدَى حُقُوقَها خيرَ أداءٍ . ومضى يُنَوِّهُ برعايته للبائسين والبائسات . وإنقاذه للفقراء من الموت والهلاك ، وبجيشه الكثيف ، وفرسانه الأشداء الذين أعدهم للقاء الأعداء ، فكانوا يثخنون فيهم قَتْلا وجَرْحاً وأَسْراً (٢٣٩) :

إنَّ الخليفةَ فَرْعٌ حينَ تَنْسُبُهُ من الأعاصى هِجانٌ خَيْرُ مَنْسُوبِ (٢٤٠)
يُنميه حَرْبٌ ومروانُ وأصْلُها إلى جراثيم مَجْد غير مأشُوبِ (٢٤١)
نَـمَـاكَ أربعـة كـانوا أَئِمَّتَنَا فكان مُلْكُكَ حقًّا ليس بالحُوبِ (٢٤٢)
أعطاكَ مُلْكاً وتقْوى أنت سائِسُهُ بعد الفضائل مَنْ أوْحَى إلى النُّوبِ (٢٤٣)
كالبَدْرِ أَبْلَجُ عالى الهمِّ مُخْتَلَقٌ يُنْمَى إلى الأَبْطَحِيَّاتِ المَصَاعِيب (٢٤٤)
بَحْرٌ نَمتْهُ بُحورٌ غيرُ سَاجيةٍ تلك المَخَاصِيبُ أبناءُ المخَاصِيبِ (٢٤٥)
قَوْمٌ بمكةَ فى بَطْحائِها وُلِدوا أبناء مكّةَ لَيْسُوا بالأعَارِيبِ
أنتَ ابنُ عاتكةَ المَيْمونُ طائِرُها أمِّ الملوكِ بنى الغُرِّ المناجِيبِ

---

(٢٣٩) ديوانه ص : ٧٦ .

(٢٤٠) الأعاصى : الأعياص من ولد أمية الأكبر عبد شمس ، وهم : العاصى ، وأبو العاصى ، والعيص ، وأبو العيص ، والعويص ، وأبو عمرو . ( انظر جمهرة أنساب العرب ص : ٧٨ ) والهجان : الخالص .

(٢٤١) الجراثيم : الأصول : والمأشوب : المتداخل المختلط .

(٢٤٢) الحوب : الإثم .

(٢٤٣) النوب : النحل .

(٢٤٤) الأبلج : طَلْقُ الوجه . والمختلق : المخلوق خِلْقَةً تَصْلُح لِلْمُلك . ويُنْمَى : يُعْزَى وينسب . الأبطحيات : أهل الأباطح من قريش ، وهم أشراف قريش وسادتها . والمصاعيب : جمع مصعب : وهو الأَبِىُّ النَّفُور من الرجال ، استعارة من الجمل المصعب الذى لم يُرْكَبْ ولم يَمَسَّسْهُ حَبْلٌ .

( ٢٤٥ ) غير ساخية : غير ساكنة ولا هادئة .

سَهْلُ المَباءةَ يعْفُو الناسُ جَمَّتَهُ ... يكسُو الجِفَانَ سَدِيفاً من ذُرَى النِّيبِ (٢٤٦)

حَتَّى تَصُدَّ العَوافى بعدمَا سَبَقَتْ ... عند المجاعَةِ مِنْ لحْم وترْعِيبِ (٢٤٧)

وأنتَ تُحْيِى فِتَاماً بعدما هَمَدتْ ... إحياءَ غَيْثٍ بِصُوبٍ نَفْسَ جُلْبُوبِ (٢٤٨)

وجَحْفَلٍ لَجْبٍ جَمٍّ صواهِلُهُ ... عُوذ يَخُدُّ مُتونَ السَّهل واللُّوبِ (٢٤٩)

تَرَى السَّاجِيحَ فيه وهى مُسْنَفَةٌ ... وكلَّ فَحْلٍ طُوالَ الشَّخْصِ يَعْبُوبِ (٢٥٠)

تَرْدى بِشُعْثٍ إذا ابْتَلَّتْ رَحَائِلها ... بِكُلِّ فجٍّ مِنَ الأعداءِ مَرْهُوبِ (١٥١)

يَسْمو بها وبجيشٍ كالدَّبَا أشِبٍ ... بكلِّ هَوْلٍ علَى ماكانَ مَرْكوبِ (٢٥٢)

حَتَّى يَفُضَّ جُموعاً بعـدَما حُشِدَتْ ... يُهالُ منها ويُغْشى كلُّ مَرْعُوبِ

له كِبَاشٌ بَوْقع السيفِ يَعْصبها ... وكَبْشُ صَفِّك ماض غيرُ مَعْصُوبِ (٢٥٣)

ثُمَّتَ نَاصَتْ فُـلولاً من عَدُوِّكمُ ... قد أجْحَرَتْ بيَن مَقْتولٍ ومَجْنوبِ (٢٥٤)

بَلْهَ سُبىٌّ حَوَتْهَا الخَيْل تَحْسَبُها ... زُهاءَ شاءٍ من الأذْرِىِّ مَجْلُوبِ (٢٥٥)

كأنَّ رَنَّاتِ نِسْوانِ السُّبِىِّ وقد ... أَلْوى بها القومُ أصواتُ اليَعاقيبِ (٢٥٦)

غُنْمٌ يَظَلُّ إمامُ الناس يَقْسِمُها ... فَبَيْن مَوْهُوبةٍ منها ومَوْهُوب

ويقول فى قصيدة ثانيةٍ مُشيداً بِشَرَفِهِ العظيم من جهة أبيه وأمه ، وما تمتَّعَ به من صفات عربية كريمة ، ثم استرسل يتحدث عن تدينه ، فإذا هو مثال للمؤمن الصالح فى مراقبته لله ، وحسن عبادته ، وقضائه الليل يصلى ويقرأ القرآن ويتضرع إلى الله ، ثم تحدث عن خلافته ، فإذا هو مثال

---

(٢٤٦) المباءة : المرجع . ويعفو : يطلب . والجمة : معظم الماء كنى بها عن كرمه . والسديف : لحم السنام . والينب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنة .

(٢٤٧) العوافى : طالبات المعروف والترعيب : قطع اللحم الكبيرة .

(٢٤٨) الفتام : الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه والجلبوب : دابة تكون فى الحجارة شبه الدودة ، تكون من المطر .

(٢٤٩) الجحفل : الجيش العظيم واللجب : كثير أصوات الأبطال وصهيل الخيل . والصواهل : الخيل . والعوذ : المسن من الإبل ، شبه الجيش به لخنكته وتذليله الصعب . ويخد : يشق . اللوب : الغامض من الأرض .

(٢٥٠) السماميج : الطوال . ومسنفة : متقدمة . واليعبوب : الفرس الطويل السريع .

(٢٥١) تردى : ترجم الأرض بحوافرها والشعث : جمع أشعث وهو المغبر الملتبد الشعر .

(٢٥٢) الدبا : الجراد وأشب : الكثيف المشتبك .

(٢٥٣) الكبش : قائد الجيش . ويغصبها : أى يهلك نفوس الكباش .

(٢٥٤) ناصت : أخذت بالنواصى أى مقدم الرؤوس .

(٢٥٥) بله هنا بمعنى كيف ، وسبى مبتدأ . وسبى : جمع سبّى . وزهاء : مقدار . والأذرى : المنسوب إلى أذربيجان .

(٢٥٦) اليعاقيب : جمع يعقوب ، وهو ذكر النحل .

للخليفة الكامل فى حَزْمِه ووقارِه وحِلْمه وعِفَّته ووفائه وعَدْله وفَضْلِه وفَصَاحته وسداده [٢٥٧] :

حَكَمِيًّا بين الأعاصى وَحَرْبٍ أَبْطَحِيَّ الأعمام والأخوال
أُمُّهُ مَلْكَةٌ نَمَتْهَا مُلوكٌ وهى أهلُ الإكرامِ والإجلالِ
تِلْكَ أمُّ كَسَتْ يزيدَ بَهاءً وجمالاً يَبُذُّ كلَّ جَمالِ
وأَبُوهُ عبد المَلِيكِ نَاهُ زادَ طُولاً على الملوك الطِّوالِ
حَالَفَ المجدَ عَبْشمِيًّا إماماً حَلَّ داراً بها تكون المعالى
أَرْيَحيًّا فَرْعاً ومَعْقِلَ عِزٍّ قصَّرَتْ دُونَهُ طِوالُ الجِبالِ
أُعْطِىَ الحِلْمَ والعَفَافَ مع الجُو دِ وَرَأْيًا يفوقُ رأىَ الرِّجَالَ
وحَبَاهُ المَليكُ تَقْوَى وبِرًّا وَهوَ من سُوسِ ناسكٍ وَصَّالِ [٢٥٨]
يَقْطَعُ الليلَ آهةً وانْتِحاباً وابْتِهالاً لله أىَّ ابتِهال
تارة راكعاً وطَوْراً سُجوداً ذا دُموعٍ تَنْهَلُّ أىَّ انْهِلالِ
ولهُ نَحْبَةٌ إذا قَامَ يَتْلُو سُوراً بعد سورةِ الأَنْفَالِ
عَادِلٌ مُقْسِطٌ ومِيزانُ حَقٍّ لمَ يَحِفْ فى قَضائه للمُوالى
مُوفياً بالعُهودِ من خَشْيَة اللـ ـهِ ومَنْ يَعْفُهُ يكُنْ غَيْرَ قَالِ [٢٥٩]
مُحْسِنٌ مُجْمِلٌ تَقِىٌّ قَوِىٌّ وهَو أهلُ الإحسانِ والإجمال

ويقول فى قصيدة ثالثة مُبَجِّلاً كرمه الفيَّاض ، وسَعْيَهُ للمعالى والمحامد ، واكْتِسَابَه لها ، وسَبْقَه لقريشٍ فيها ، ومُكْبِراً صيانَتَه للخلافة الأموية ، وعَقْدَهُ العَهْدَ لأخيه هشام وابنه الوليد ، وفَتْكَه بالمهالبة ، واسْتِئْصالَهُ لهم ، وماحقق للناس من أمن وطمأنينة ، وعِزٍّ ومَنَعَةٍ ، وما أصابوا فى أيامه من رَغدٍ ورخاء ، وماأغدق عليهم من صلات وعطاء [٢٦٠] :

يَزيدُ الخَيْرِ وهو يَزِيدُ خيراً ويَنْمى كلما ابْتُغِىَ النَّمَاءُ
قريشٌ تَبْتَنِى المعروفَ قِدْماً وليسَ كما بَنَيْتَ لها بِناءُ
فَضَضْتَ كتائبَ الأَزْدِىِّ فَضاً بِكَبْشِكَ وهوُ بُغْيَتُهُ اللِّقاءُ
وعَادَتُهُ إذا لاَقَى كِباشاً فَنَاطَحَهُنَّ قَتْلٌ واجْتِوَاءُ

---

(٢٥٧) ديوانه ص : ٦٨ .
(٢٥٨) السوس : الأصل .
(٢٥٩) يعفوه : يقصده ويسأله . غير قالٍ : غير كَارِهٍ له ولا جافٍ عنه .
(٢٦٠) ديوانه ص : ٤٩ .

أَبْرَتَ عَدُوَّهُمْ وعَفَوْتَ عَفْواً به حُقِنَتْ من الناس الدِّماءُ
سَمَكْتَ لهمْ بإذنِ اللهِ مُلْكاً كما سُمِكَتْ على الأرضِ السَّماء[٢٦١]
وأَحْيَيْتَ العَطـاء وكَانَ مَيْتاً ولَوْلاَ اللهُ ماحَيـىَ العطاءُ
فى كُلِّ القَبائِلِ من مَعَدٍّ ومِنْ يمنٍ له أيضاً حِباءُ
وَصَلْتَ أخاكَ فهو وَلِيُّ عَهْدٍ وعندَ اللهِ فى الصِّلَةِ الجزاءُ
نُرَجِّى أنْ يكونَ لنا إماماً وفى مُلْكِ الوليدِ لنا الرَّجاءُ

تلك سيرة يزيد فى القصائد الإسلامية المعاصرة لخلافته ، والفرق بينها وبين سيرته فى الروايات التاريخية كبير ، فسيرته فى القصائد الإسلامية مستقيمة ناصعة ، لأن المؤيِّدين والمُتَملِّقين له من الشعراء هم الذين صاغوها ، فاهتموا اهتماماً زائداً بإظهار جلاله ووقاره وتَدَيُّنه ووَرَعِه ، واتزانه وقصده وحكمته وخوفه من الله ، وحسن عبادته ، ورعايته للأمة ، وحفاظه على ثغور الدولة ، وحمايته للدين ، وجهاده فى سبيل الله ، وبالغوا فى الدِّفاع عنه ، والنِّفاقِ له مبالغةً شديدةً حتى لَقَّبوه بإمام الهدى ، وإمام العدل ، والإمام المبارك ، والمُصْطَفَى المُنْتَظَر ، والمهدى المرتقب ! وأغفلوا الإشارة إلى حياته الخاصة ، وإكبابه على النعيم واللهو .

وسيرته فى الروايات التاريخية أَشْمَلُ وأَوْفَى وأَغْنَى ، لأنها تُمَثِّلُ جوانب حياته الذاتية والرسمية ، بدقائقها وتفاصيلها ، وتتضمن آراء أنصاره وخصومه فيه . فهى تسجل ملامح تربيته وثقافته ونشأته ، وتبرز معالم سياسته الإدارية والمالية والعسكرية ، مع اختلاف الإخباريين والمؤرخين فى تقويمها والحكم عليها ، فهم بين مُشِيد بها ، ونَاقِدٍ لها . وتكشف بوضوح عن كلفه بالترف ، وإسرافه فيه ، وإقباله على الغناء ، وانقطاعه إلى حَبَّابة وسَلاَّمة وغيرهما من الإماء ، وتدل على تقليصه لنفوذ القبائل اليمنية العراقية والخراسانية ، واستعانته بالقبائل المضرية بعد قضائه على ثورة المهالبة ، مما جَدَّد المُنَافَسةَ بين هاتين المجموعتين من القبائل .

---

(٢٦١) سَمَكَ : رفع .

## ٣ – أمـــه

كانت زينب بنت محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف الثقفى[٢٦٢] ثانية أزواج يزيد بن عبد الملك ، وأم الوليد بن يزيد ، وليس فى المصادر المتاحة شىء من أخبار حياتها وعلاقتها بيزيد قبل أن يَتَزَوَّجها ، وليس فيها أيضاً شىء من أخبار صلتها بابنها وتربيتها له . ويفترض افتراضاً يُرَجحه صَبابةُ يزيد بالحسان ، وخضوعه لهن ، وأدلالُ زينب عليه بجمالها ، لما نالت من حظوةً عنده ، أنَّ زينَب نَشَّأَتْ الوليد نشأةً ناعمةً مترفةً ، وأَحَاطَتْه برعايتها وحنانها ، ومَحَضَتْهُ خالص ودها وعطفها ، فقد كانت مزهوة به ، لأنه كان أكبر أبنائها ، فَقَوَّى منزلتها ، وزاد من إعجابها بنفسها ، وشموخها على سائر نساء يزيد .

وقد سَعَتْ إلى إقناع زوجها بالاهتمام بابنها الوليد ، ونجحت فى سعيها ، فمال يزيد إليه ، واحتفل به ، وفضله على إخوته وعَمِلَتْ لِتَزْكِيته لولاية العهد[٢٦٣] ، وأفلحت بما شاءت ، وفازت به ، إذ عَيَّنَهُ يزيد وَلِيَّ عهده الثانى ، وآثره على أخيه عبد الله[٢٦٤] ، ابنه الأكبر من امرأته الأولى سعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان .

وفى شعر الوليد مايدل على احترامه لأمه ، وافتخاره بها ، فقد كان يتمدح بخؤولته فى الثقفيين ، كما كان يتمدح بنسبه فى الهاشميين والسفيانيين والمروانيين[٢٦٥] .

وكان الثقفيون يبادلونه عاطفة بعاطفة ، واعتداداً باعتداد ، ممايتضح فى شعر طريح بن إسماعيل الثقفى ، فهو يشيد فى مدائحه للوليد بشرف نسبه من جهة أبيه وأمه ، فهو كريم الأجداد والأخوال ، بل هو صفوة قريش وثقيف ، ورَمْزٌ لاتحاد دمائهم ، وامتزاج أمجادهم فهو يقول فيه[٢٦٦] :

(٢٦٢) انظر أخبار زينب فى نسب قريش ص : ١٦٧ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٢٩ ، ٣٠٩ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٣١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٢١ ، والأغانى ٧ : ١ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٧٩ و ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٩ .

(٢٦٣) الأغانى ١٥ : ١٢ .

(٢٦٤) جمهرة أنساب العرب ص : ٩١ .

(٢٦٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١١ ، ٣١٢ ، والأغانى ٧ : ١ ، ٦ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٩ .

(٢٦٦) الشعر والشعراء ٢ : ٦٧٨ ، والأغانى ٤ : ٣١٦ ، وديوان المعانى ١ : ٢٤ ، وتاريخ الطبرى ٨ : ١٨٣ ، ولسان العرب ٣ : ٢٢٣ .

أنتَ ابنُ مُسْلَنْطِحِ البِطَاحِ ولمْ تُطْرِقْ عليكَ الْحُنِيُّ والوُلُجُ[٢٦٧]
طُوبَى لِفَرْعَيْكَ من هُنَا وهُنَا طُوبَى لأَعْرَاقِكَ التى تَشِجُ[٢٦٨]

ويقول[٢٦٩] :

واعتامَ كَهْلُكَ مِنْ ثَقِيفٍ كُفْأَةً فَتَنازَعَاكَ فأنتَ جَوْهَرُ جَوْهَرِ[٢٧٠]
فَنَمتْ فُروعُ القَرْيَتَيْنِ قُصَيُّها وقَسِيُّها بكَ فى الأشَمِّ الأكبرِ[٢٧١]

وأثَّرتْ زينب فى سياسة يزيد بن عبد الملك تأثيراً قوياً فقد حملته على الانحياز لأصهاره من آل أبى عقيل . وعلى الاستعانة بقيس واصطناعها . وأغرته بالمهالبة فنَفَر منهم . وهَدَّدهم . ووعدها بالقضاء عليهم[٢٧٢] . فإن سليمان بن عبد الملك أمر يزيد بن المهلب باعتقال أقارب الحجاج وعماله . والبطش بهم . لأن الحجاج أيَّد الوليد بن عبد الملك فى عزل سليمان من ولاية العهد[٢٧٣] . ولأن ابن المهلب كان ناقماً من الحجاج إقصاءه له عن خراسان[٢٧٤]. ففيما يرويه عباس بن هشام الكلبى عن أبيه عن لوط بن يحيى وعوانة بن الحكم أنه لما استخلف سليمان بن عبد الملك . تَتَبَّع من كان بالشام وغير الشام من آل أبى عقيل . فدفعهم إلى يزيد بن المهلب – وكان يزيد أوَّل من عزَّاه بالوليد . وسلَّم عليه بالخلافة – وأمره أن يَسْتَأْدِيَهُمْ ويبسط عليهم. فَوَلَّى أمرهم أخاه عبد الملك بن المهلب . فعذب الحكم ابن أيوب بن الحكم بن أبى عقيل حتى قتله . وألح عبد الملك على يوسف بن عمر بن محمد ابن الحكم بن أبى عقيل . وغضب عليه يوماً . فرماه بِسَفَرْجَلَةٍ فَشَتَر عَيْنَه . . وبعث يزيد بن المهلب إلى البلقاء من عمل دمشق . وفيها خزائن الحجاج بن يوسف وعياله . فَنَقَلَهُمْ ومامعهم إليه . وكان فيمن أُتِيَ به أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل . . وكانت امرأة يزيد بن عبد الملك بن مروان .. فكان عبد الملك يُعَذِّبها بأمر أخيه يزيد بن المهلب فى منزله . فكلمه فيها يزيد ابن عبد الملك . فأبى أن يُشَفِّعه فيها . فقال : الذى وَظَّفْتُم عليها عَلَىَّ . فأبى قبول ذلك . فقال يزيد : والله لئن وليتُ من الأمر شيئاً . لأَقْطَعَنَّ منك طابقاً ! فقال يزيد بن المهلب : وأنا والله . فلئن

(٢٦٧) المسلنطح من البطاح : ما اتسع واستوى سطحه . وتطرق عليك : تطبق عليك وتغطيك وتُضَيِّق مكانك . والحنى : ما انخفض من الأرض . والولج : كل متسع من الوادى . يريد لم تكن بين الحين والولج حتى يخفى مكانك .

(٢٦٨) تشج : تشتبك وتلتف .

(٢٦٩) الأغانى ٤ : ٣١٧ .

(٢٧٠) اعتام : اختار .

(٢٧١) قصى : هو قصى بن كلاب . وقسى : هو ثقيف .

(٢٧٢) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٦٤ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٢٩٥ .

(٢٧٣) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٩٨ ، ٥٠٦ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٢٣ .

(٢٧٤) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٩٥ .

كان لى ذلك لأرمينك بمائة ألف عنان[٢٧٥] » . ويقول البلاذرى « وقال قوم : لم يفعل ذلك بأم الحجاج بنت محمد ، وإنما فعله بأختها فجرى هذا القول بينه وبين يزيد بسببها[٢٧٦] » . فلما استخلف يزيد بن عبد الملك ، خافَه ابن المهلب ، فثار به ، وقُتِل .

واقتدى الوليد بن يزيد بسياسة أبيه فعادى القبائل اليمنية العراقية ، وخضع لضغط أمه عليه ، فحابى أخواله من ثقيف وأذعن لمطالبهم ومطامحهم ، وانصاع لآرائهم وأهوائهم[٢٧٧] . وكان بعض إخوة أمه من كبار الموظفين فى قصره وفى الأمصار الأخرى . وكان أولاد عمها الحجاج بن يوسف وحفدته يَلُون وظائف متعددة فى دمشق وغيرها[٢٧٨] .

## ٤ – إخوتـــه

كان للوليد إخوة كثيرون ، منهم يحيى وهو أخوه لأبيه وأمه ، وعبد الله وعائشة أمهما سعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، والغَمْرُ لأُمٍّ وَلَد ، وعبد الجبار وسليمان لأُمٍّ وَلَد ، وهاشم وأبو سفيان لأُمٍّ وَلَد[٢٧٩] .

والغَمْرُ هو أشهر إخوته ، وأقواهم علاقةً به ، وأشدهم صداقةً له ، وكان يُشْبِهُ الوليد فى كثير من صفاته وأخلاقه ، فقد كان مُعْتدلاً غير مُتَزَمِّتٍ ولامُتَهَوِّرٍ ، خفيف الروح لطيف العشرة ، مُحِبًّا للدُّعابة والمَرَح فأدناه الوليد ، ووثق به . ففى أخبار الغمر أنه كان يستملح الفكاهة ، ويستطيب الغناء ، ويعكف على سماعه ، إذ يروى أنه حَجَّ فدخل عليه مَعْبَد مُغَنِّى المدينة النَّابه ، فغناه صَوْتاً من شعر عمر بن أبى ربيعة ، فلم يزل يَرُدُّ عليه ، ثم أخرجه معه لَمَّا رَحَل عن المدينة فَغَنَّاه فى بعض الطريق ، ولم يُفَارِقْه إلاّبعد أن رجع إلى دمشق[٢٨٠] . ويروى أنه مَرَّ رهو حَاجٌّ بالدَّلاَّل مُغَنِّى المدينة ومُضْحِكها وصاحب النَّوادر فيها ، فَغَنَّاه صوتاً من شعر النابغى الذبيانى ، فاستحسن غناءه[٢٨١] .

---

(٢٧٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٩٨ ، وانظر تاريخ ابن خلدون ، المجلد الثالث ، القسم الأول ص : ١٦٦ .

(٢٧٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٩٩ .

(٢٧٧) الأغانى ٤ : ٣٠٦ ، وسمط اللآلئ ص : ٧٠٥ ، ومعجم الأدباء ٤ : ٢٧٦ .

(٢٧٨) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٢٦٧ .

(٢٧٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٢٩ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٩١ .

(٢٨٠) الأغانى ١ : ٢٠٨ ، ٢٨٢ .

(٢٨١) الأغانى ٤ : ٢٧٨ .

وكان المغنون كمالك بن أبى السَّمْح وغيره من مغنى الحجاز المذكورين ينزلون به حين يفدون إلى دمشق . ويَتَوَسَّلون به إلى الوليد ، فكان يستقبلهم ويدخلهم إليه[٢٨٢] . وكان يشهدُ مجالسَ لَهْوِ الوليد ويشارك فيها[٢٨٣] . وكان شعراء الحجاز والعراق كإسماعيل بن يسار النسائى ومطيع بن إياس يقصدونه ويمدحونه لمكانته عند أخيه ، فكان يكافئهم ثم يَصِلُهم به[٢٨٤] .

وكان الغَمْرُ بجانب تغنِّيه وانطلاقه جَلْداً عاقلاً عفيفاً[٢٨٥] . وفارساً مِغْواراً ومُحارباً مُراً ، فأناط به الوليد قيادة بعض الغزوات ، إذ أَغْزَاه قُبْرص سنة خمس وعشرين ومائة ، فاقتحمها وفتحها[٢٨٦] . وَوَلاَّه الصّائفة غَيْر مَرَّة ، فَغَنِمَ مالم يَغْنَمْهُ أحدٌ قَطُّ وكانت أخرى صوائفه سنة ست وعشرين ومائة[٢٨٧] ، واستعمله على اليمامة .

ومَدَح الغَمْرَ بعضُ الشعراء الأمويين والشعراء من مُخْضرمى الدولتين مُكْبِرين خِصالَه العربية الكريمة ، وشمائله الإسلامية المجيدة ، ففيه يقول إسماعيل بن يَسار النسائى مُشيداً بِسَعَة نَوالِهِ ونُبْلِهِ وتَصَوُّنِهِ وشهامته ونَفَاذِ بَصِيرته . وقوته التى تُعِزُّ الدين وَيُخشَاها أعداءُ المسلمين[٢٨٨] :

إذَا عَدَّدَ الناسُ المكارِمَ والعُلاَ ... فلا يَفْخَرَنْ يوماً على الغَمْرِ فاخُر
فما مَرَّ مِنْ يَوْمٍ على الدَّهْرِ واحدٌ ... على الغَمْرِ إلاَّ وهو فى النَّاسِ غامرُ
تَراهُمْ خُشوعاً حينَ يَبْدُو مَهابةً ... كما خَشَعَتْ يوماً لِكِسْرَى الأساوِرُ
أَغَرُّ بِطَاحِيٌّ كأنَّ جَبِينَهُ ... إذا مَابَدا بَدْرٌ إذا لاَحَ باهِرُ
وَقَى عِرْضَهُ بالمالِ فالمالُ جُنَّةٌ ... لهُ وأَهانَ المالَ والعِرْضُ وافِرُ
وفى سَيْبِهِ لِلْمُجْتَدين عِمَارَةٌ ... وفى سَيْفِهِ للدِّينِ عِزٌّ ونَاصِرُ

وفيه يقول مطيع بن إياس مُنَوِّهاً بِعلُوِّ منزلته وأريحيته وشجاعته ومضائه وغنائه فى المحن والشدائد ، وصِحَّةَ تقديره للأمور وكمال تقواه[٢٨٩] :

---

(٢٨٢) الأغانى ٥ : ١١ .

(٢٨٣) الأغانى ٧ : ٥٠ .

(٢٨٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٢٩ – والأغانى ٤ : ٤٢٤ ، ١٣ : ٢٩٨ ، والديارات ص : ٢٥٢ .

(٢٨٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٢٢٩ .

(٢٨٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٢٧ .

(٢٨٧) أنساب الأشراف مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٢٩ ، وتاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٦ .

(٢٨٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٢٩ ، والأغانى ٤ : ٤٢٤ .

(٢٨٩) الأغانى ١٣ : ٢٩٨ ، والديارات ص : ٢٥٢ ، وشعراء عباسيون ص : ٣١ .

وإذا أُمَيَّـــةُ حُصِّـــلَتْ كان المُهَذَّبَ فى إنمائِهْ[٢٩٠]
وإذا الأُمُـــورُ تَـفَـاقَـمَتْ عِظَماً فَصَـدِّرْها برائِـهْ[٢٩١]
وإذا أَرَدْتَ مَـدِيـحَـــهُ لم يكْدِ قَوْلُكَ فى ثَنَائِهْ[٢٩٢]
فى وَجْهِهِ عَلَمُ الهُـدَى والمَجْـدُ فى عِطْفَىْ رِدَائِهْ
وكأَنَّمَـا الْبَـــدْرُ الْمُنِيـ ـرُ مُشَبَّهٌ بـه فى ضِيَائِهْ

وكان الغمر بَحَّران[٢٩٣] عندما قُتِلَ الوليد[٢٩٤]، فاستقر بها بين أنصار أخيه من المضرية، وانضم إليه عبد الملك بن مروان بن محمد[٢٩٥]. وتَقِلُّ أخبار الغَمْرِ بعد مقتل أخيهِ، ويظهر أنه آثر الصَّمْتَ والتَّرَقُّب، أو اختار الحياد والمسالمة فإنه لم يَسْتَجِبْ لمروان بن محمد حين حثَّهُ على مكافحة يزيد بن الوليد وشيعته من القدرية[٢٩٦]. وتنقطع أخباره بعد ذلك، ولايُتَبَيَّنُ له دَوْرٌ أساسىٌّ أو ثانوىٌّ فى أيام يزيد بن الوليد وأخيه إبراهيم، وماحتدم فيها من صراع بين المضرية واليمنية، انتهى بِغَلَبةِ المضرية، وسيطرة مروان بن محمد على الخلافة، ولايُذْكَرُ إلاَّ فى بعض الروايات التى تصور هلاكه فى عهد أبى العباس السفاح. ويزعم ابن عبد ربه أن أبا العباس قَتَل الغَمْرَ مع ثمانين رجلاً من بنى أمية بالحيرة[٢٩٧]. والصحيح أنه قُتِلَ على نهر أبى فِطْرس بفلسطين سنة اثنتين وثلاثين ومائة[٢٩٨]. فى المجزرة التى قَتَلَ فيها عبدُ الله بن على العباسى ثمانين رجلاً من أمراء بنى أمية وأشرافهم[٢٩٩]. وإنما التبس الأمر على ابن عبدربه لأنه وَرَدَ فى خبر سَفْكِ أبى العباس لدماء بعض الأمويين اسم سليمان بن هشام، وكان يكنى بأبى الغَمْرِ[٣٠٠]. فظن أنه الغمر بن يزيد!

---

(٢٩٠) حُصِّلت: مُيِّزَت.
(٢٩١) رائه: رأيه.
(٢٩٢) يكدى: يخيب.
(٢٩٣) حران: قصبة ديار مضر على طريق الشام وبلاد الروم. وهى قاعدة كان الجنود يتجمعون بها ويخرجون منها لمهاجمة الروم. (انظر معجم البلدان ٢ : ٢٣٠).
(٢٩٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٩٦.
(٢٩٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٩٦.
(٢٩٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٨١.
(٢٩٧) العقد الفريد ٤ : ٤٨٥.
(٢٩٨) جمهرة أنساب العرب ص : ٩١.
(٢٩٩) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٥٥، ومروج الذهب ٣ : ٣٦١، ومعجم البلدان ٤ : ٨٣١.
(٣٠٠) الأغانى ٤ : ٣٥١.

وأما سليمان بن يزيد بن عبد الملك فكان بَرِماً بأخيه الوليد ، مُبْغضاً له ، أعان عليه وسعى فى قتله ، واتهمه بعد أن قُتِلَ واحْتُزَّ رأسه ، وحُمِلَ إليه بأنه كان شروباً للخمر ، ماجنا فاسقاً[٣٠١] . وتَنكَّرَ لابنيه الحكم وعثمان ، فإن يزيد بن الوليد سَلَّمَهُما له ، فكثا عنده أياماً . ثم رَدَّهُما إليه وقال : « قد كَثُرَ اختلافُ الناس إليهما ، وقد كان أبوهما بايع لهما ، فأخاف أن أُغْلَبَ عليهما ، فإن فى الناس غُواةً ، فأمر يزيد بحبسهما »[٣٠٢] . وقتل أنصار العباسيين سليمان بالبلقاء سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وقطعوا رأسه ، ودفعوه إلى عبد الله بن على العباسى [٣٠٣] .

وليس لسائر إخوة الوليد بن يزيد أهمية ، ولا كان لأحدهم موقف من خلافته ومقتله ، فشخصياتهم مغمورة ، وأخبارهم قليلة ، بل نادرة .

## ٥ – أزواجـــه

تَزَوَّجَ الوليد بن يزيد ثلاثاً من الحرائر الأمويات ، وامتلك عدداً من الجوارى وَضعت له إحداهن ابنه العباس . وهو أكبرُ أبنائه ، إذ به كان يكنى[٣٠٤] .

والثابت أنه اقترن بَسْعْدَةَ بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان فى خلافة أبيه[٣٠٥] . وربما اقترح عليه أبوه أن يَتَزَوَّج مُبكِّراً ، فخطب له سَعْدة ، ليبتهج بزواجه فى حياته ، ويُوثِّق به الروابط الدموية والسياسية بينه وبين ذُرِيَّة عثمان بن عفان ، فإن الخلفاء المروانيين كانوا حراصاً على تَماسُك الأسرة الأموية وتَلاحُم فروعها العثمانية والسفيانية والمروانية ، فأصهروا إلى عثمان بن عفان وأبنائه وحفدته ، كما أصهروا إلى يزيد بن معاوية بن أبى سفيان وأولاده فقد تَزَوجَ مروان بن الحكم

---

(٣٠١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٢٩ ، ٣٣٤ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥١ ، وعيون الأخبار ٢ : ٤٢ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق ، رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١٢ وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١٩ ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥١ ، وخزانة الأدب ١ : ٣٢٩ .

(٣٠٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٦ .

(٣٠٣) مروج الذهب ٣ : ٢٦١ .

(٣٠٤) نسب قريش ص : ١٦٧ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٧٢ .

(٣٠٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٥٣ ، والأغانى ٧ : ٢٦ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٩١ .

أمَّ أبان بنت عثمان بن عفان[٣٠٦] ، وتَزَوجَ عبد الملك بن مروان أمَّ أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان[٣٠٧] ، وتَزَوَّج سليمان بن عبد الملك عائشة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان[٣٠٨] ، واقترن يزيد بن عبد الملك بأختها سَعْدَة[٣٠٩] ، واقترن هشام بن عبد الملك بأمِّ عثمان بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان[٣١٠] ، وبنى عبد الملك بن مروان بعاتكة بنت يزيد بن معاوية[٣١١] ، وبنى سليمان بن عبد الملك بأمِّ يزيد بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية[٣١٢] .

ورُبَّما أصْهَرَ الخلفاء المروانيون إلى عثمان بن عفان وأبنائه وحفدته أكثر من إصهارهم إلى يزيد بن معاوية وأولاده ، تَقْوِيةً لوشائج الرحم والدم بينهم وبين ذُرِيَّة عثمان ، وتَسْويغاً لما أذاعوه من أنهم ورثوا الخلافة عنه ، ومنعاً لذريته وذرية يزيد بن معاوية من مُنَازعتهم فى المُلْك !

ولما كان يزيد بن عبد الملك مُصْهِراً إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، عم سعيد ابن خالد ، وكان سعيد مُجَاوِرا ليزيد بدمشق[٣١٣] ، صديقاً له ، غالباً عليه ، مُتَصَرِّفاً فى خلافته[٣١٤] ، فقد ساعد ذلك على اختياره بنت سعيد قرينة لابنه الوليد .

ولم تَطُلْ إقامة سعدة عند الوليد بعد موت أبيه ، فقدالْتَوَتْ علاقتُه بها وتكَدَّرت ، وفَتَرَتْ عاطفته نحوها ، إذ هام حُبًّا بأختها سلمى[٣١٥] ، وأراد أنْ يَتَزوَّجها ، وكان من المستحيل أنْ يَجْمَع بين الأختين ، لأن الشريعة الإسلامية تُحَرِّمُ الجَمْعَ بينهما ، فَطَلَّق سَعْدَةَ لِيَقْتَرِنَ بأختها سلمى ، فَصُدَّ عنها ، ومُنِعَ من زيارتها ورؤيتها زَمناً[٣١٦] ، فَنَدِمَ على تَطْلِيقِه سَعْدَةَ ، وغَمَّه فراقُها ، فَسَعى فى إرْجَاعها ، وبعث إليها أشْعَبَ المُضْحِكَ[٣١٧] ، فَرَّدته بقوة ، بل إن وساطته بينهما فَجَّرَتْ حَنَقَ

---

(٣٠٦) نسب قريش ص : ١٦١ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٨٧ .

(٣٠٧) نسب قريش ص : ١٦٤ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٤٢٠ .

(٣٠٨) نسب قريش ص : ١٦٦ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٩١ .

(٣٠٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨٦ ، وانظر قريش ص : ١٦٧ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٦٦ .

(٣١٠) نسب قريش ص : ١٦٨ .

(٣١١) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٢٠ .

(٣١٢) نسب قريش ص : ١٦٥ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٩١ .

(٣١٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨١ .

(٣١٤) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٤ .

(٣١٥) الأغانى ٧ : ٢٦ .

(٣١٦) الأغانى ٧ : ٣٠ .

(٣١٧) العقد الفريد ٤ : ٤٥٣ ، والأغانى ٧ : ٢٧ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٧٥ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٤٧٤ ، ونهاية الأرب ٤ : ٣١ .

سَعْدَةَ على الوليد ، وأجَّجَتْ كُرْهَها له ، وزَادتْ من استِهانَتِها به ، لأنه أهْمَلها وجَفَاها وطَلَّقها . ثم تَزَوَّجَتْ بشر بن الوليد بن عبد الملك (٣١٨) ، خَصْمَ الوليد اللدود (٣١٩) ، لِتَكُفَّ الوليد عن مُلاحَقَتِها ، وتَنْتَقِمَ منه لنفسها ، وتُعَكِّرَ عليه صَفْو حياته ، كما عَكَّر عليها صَفْوَ حياتها .

وأمَّا امرأةُ الوليد الأموية الثانية فهى عاتكةُ بنت عثمان بن محمد بن عثمان بن محمد بن أبى سفيان (٣٢٠) . وكأنما كان لِجَدَّتِهِ عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان دَوْرٌ فى اختيارها حليلة له ، فهى بنت عمها ، وبنى الوليد بعاتكة فى الفترة التى تَلَتْ تَطْلِيقَه سَعْدَةَ ليَتعزَّى بها عن إخفاقه فى زواجه الأول ، ويَتَسَلَّى عن حِرْمانِه من سَلْمَى ، فإن عثمان بن عاتكة لم يكن قد احْتَلَم يوم عَقَد له الوليد ولاية العهد ، ولم يبلغ الخامسة عشرة من عمره يوم قُتِلَ أبوه .

وأمَّا امرأةُ الوليد الأموية الثالثة فهى سَلْمى بنتُ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وقصة عشقه لها ، وزواجه بها تُشْبِهُ قصص الحب العذرى فى نُشُوئها وتطور أحداثها وتعقدها ونهايتها ، فهى تبدأ بشغفه بسلمى حين عَادَ أباها بالفَدَّيْنِ (٣٢١) من أرض حوران (٣٢٢) ، أوحين زارت سلمى أختها سعدة بدمشق (٣٢٣) . وكانت سلمى من أَجْمَلِ الفتياتِ وَجْهاً ، وأكْمَلِهِنَّ حُسْناً ، فوقعت فى قلب الوليد ، ومَلأَتْ عليه نفسه ، وغَدَتْ تُمَثِّلُ فتاة أحلامه . فاضطربت صلته بأختها سعدة ، وانتهت بتطليقه إياها ليحظى بأختها . ثم خطب سلمى إلى أبيها فَتَأبَّى عليه ، وردَّه رداً قبيحاً ، إذ قال له : « أما تُريدُ منى أن أتَّخِذَكَ فَحْلاً لِبَناتى (٣٢٤) » ! وكان لهشام بن عبد الملك تأثيرٌ كبيرٌ فى دَفْع سعيدٍ للوليد ، فقد كانت أم عثمان بنت سعيد عند هشام وكان هشام يَمْقُتُ الوليد ويَتَربَّصُ به ، فكاد له عند سعيد ، إذ كتب إليه : « إياك أن تُزَوِّجَ الوليد وقال له : « أيُريدُ الوليدُ أنْ يكونَ فَحْلاً لبناتك ، يُطَلِّقُ واحدةً ، ويَتَزَوَّجُ أخرى (٣٢٥) » ! فَتَعَثَّرتْ خِطْبَة الوليد لسلمى .

---

(٣١٨) العقد الفريد ٤ : ٤٥٣ ، والأغانى ٧ : ٢٦ .

(٣١٩) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٤ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٩ ، والأغانى ٧ : ٧٥ .

(٣٢٠) نسب قريش ص : ١٦٧ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٩١ .

(٣٢١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٤ ، والأغانى ٧ : ٢٦ .

(٣٢٢) يذكر أبو الفرج أنه كان لسعيد بن خالد قصر بقُرْسُن من اليمامة ، وأنه كان مُبْتَدِّياً به حين عادَهُ الوليد ، ورأى سلمى . (انظر الأغانى ٧ : ٢٦ ، ٢٩ ) ، والصحيح أن رَسْمَ القَرْيَن محرف عن الفَدَّين ، وإنما كانت قراه وضياعه وقصوره فى المدينة والشام فقط ، ( انظر جمهرة أنساب العرب ص : ٨٥ ، ومعجم البلدان ٣ : ٨٥٩ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ١٢٥ ) .

(٣٢٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٩ .

(٣٢٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ .

(٣٢٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٤ .

وامتعض من أبيها ، وضَجَّ بالشكوى منه ، وتأذَّى كلٌ منهما بصاحبه ، وأفْحَشَ عليه ، فكان الوليد يراجع سعيداً ، وسعيدٌ يَرْفُضُه ، فأخذ الوليد يَذُمُّه ويُوَبِّخُه ، وكان سعيد يعتصم بهشام بن عبد الملك ، ولايستطيع أن يَعْصى له أمراً فجعل يُناهِضُ الوليد ، ويُقابِلُ إساءتَه بمثلها مُقَرِّعاً لَهُ ، ومُسْتخفاً به ، وكان يقول للوليد : « إنَّ المرء يجعل كريمَتَهُ عندَ مِثْلِكِ لحقيقٌ بأكثرَ مماقلت »[٣٢٦] .

وكان الوليد يعرف أن هشاماً هو الذى مَكَر به ، وزَيَّن لسعيد أن يَجْفُوه ويَزْجُرَه ، فكان يقول : العجبُ لسعيد ! خطبت إليه فَرَدَّنى ، ولو قد مات هشام ، وَوُلِّيت لَزَوَّجَنى . وهى طالق ثلاثاً إنْ تَزَوَّجْتُها حينئذٍ ، وإنْ كنتُ أهواها »[٣٢٧] ، وامتدت الخصومة بين الوليد وسعيد إلى بناتهما ، إذ كانت سلمى تُفاخِرُ بِنْتاً للوليد ، وتَدَّعى أنَّ أباها يَصْلُحُ للخلافة ، لأنه ابن الخليفة عثمان بن عفان ، فكانت بنت الوليد تُسَفِّهُها وتُغْلِظُ لها فى القول[٣٢٨] .

واسْتَبَدَّتْ سلمى بفؤاد الوليدِ مُدَةَ ولايته للعهد ، واستولت على عواطفه ، وشَغَلَتْ فِكْرَه ، وضاعف من شوقه إليها ، وتَعَلُّقِه بها أنها حُجِبَتْ عنه ، فكان يخرج إلى الفَدَّيْن ويطوفُ بِقَصْرها لِيَراها ، فلما لم يَنْتَفِعْ بِطَوافِهِ حَوْلَ قصرها ، تَخَفَّى فى زِىِّ زَيَّاتٍ فأبْصَرها[٣٢٩] . ولم يَنْقَطع عن مُلاحَقَتها ومُراقَبَتها ، فبالغ أبوها فى حِراسَتها ثم اضطر إلى الرحيل بها من حوران إلى المدينة[٣٣٠] ، لِيَنْجُو من تَعَقُّب الوليد لها . ولكن رَحِيلَهُ بها لم يَصْرِفِ الوليد عن حبها ، فقد ظَلَّ يَحِنُّ إليها ، ويَهْذى باسمها حتى بويع بالخلافة ، فلم يكن له هِمَّةٌ إلاَّ أن يتزوجها ، فأرسل إلى أبيها فَخَطبها إليه ، فَرَضَخَ له ، فقيل للوليد : قد كنت حلفت بطلاقها ثلاثاً إذا تزوجتها ، وأنت إمام فلايَصِحُّ أنْ تَبْنِىَ بها ، فاستقدم الفقهاء من المدينة ليسألهم عن يمينه[٣٣١] ، فقال بعضهم : هى طالق ، وقال آخرون : لاطلاق إلاَّبعد النكاح ، فامْتَثَل لِفَتْوَى من أَقَرُّوا الطلاق ، مخافة أن يتخذ الناس زَواجه بسلمى سُنَّةً فأمسك عن سلمى ، وزوجها أبوها ابن أخى الوليد ، فَدَخَل بها ، ثم طَلَّقها . وانتظر الوليد حتى انقَضَتْ عِدَّتها ، فخطبها وتَزَوَّجها[٣٣٢] .

ولم تَتَّصِلْ فَرْحَة الوليد بسلمى ، ولادامت مَسَرَّتُهُ بها ، فإنها لم تلبث أنْ مرضت وماتت .

---

(٣٢٦) الأغانى ٧ : ٣٤ .

(٣٢٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٠ ، والأغانى ٧ : ٢٦ ، ٣٤ .

(٣٢٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٠ .

(٣٢٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٥ ، والأغانى ٧ : ٢٩ .

(٣٣٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، والأغانى ٧ : ٢٩ .

(٣٣١) معجم البلدان ٣ : ٨٥٩ .

(٣٣٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٩ .

ويختلف الرواة فى المدة التى أقامتها عنده ، فالمُقَلِّلُ منهم يقول : إنها اعْتَلَّتْ حين حُمِلَت إليه من المدينة ، وماتت ليلة أُدْخِلَتْ عليه ، أو بعدها بثلاث ليالٍ أو سبع ليال[٣٣٣] ، والمُتَوَسِّط يقول : إنها مكثت عنده أربعين يوماً[٣٣٤] ، والمكثر يقول : إنها لبثت عنده عاماً[٣٣٥] . ولا يستفاد من شعر الوليد أن سلمى توفيت ليلَة زُفَّتْ إليه ، فهو يذكر أنه اقترن بها[٣٣٦] . والراجح أنها عاشت معه مدةً يسيرةً ، إذ يشير فى رثائه لها أنه لم يعاشرها إلاَّ فترةً قصيرةً[٣٣٧] .

وأكثر ما بقى من شعر الوليد فى النسيب بسلمى . وهو يشرح فيه قصة حُبِّهِ لها بكل تفاصيلها . إذ يتوسل فى بعضه إلى أبيها بعد أن خضع لرأى هشام بن عبد الملك ، وازور عن الوليد ، أنْ يَقْبَلَهُ زوجاً لابنته ، مذكراً له بما يربط بينهما من أواصر القربى التى توجب عليه أن يُرَحِّبَ به ، وَيَرْتَضِيه صهراً له ، كقوله[٣٣٨] :

أبا عثمانَ هَلْ لَك فى صَنيعٍ تُصِيبُ الرُّشْدَ فى صِلَتى هُدِيتَا
فأَشْكُرَ منك ما تُسْدى وتُحْيِى أبا عثمانَ مَيِّتةً ومَيْتَا

وَيَسْخَرُ فى بعضه بسعيد بن خالد سخرية لاذعة موجعة ، لإصراره على رَفْضِه ، وتماديه فى تحاميه ، كقوله يَتَهكَّمُ منه ، ويصور ما فُطِرَ عليه من غِلَظِ القَلْبِ ، وجَفاءِ الطَّبْعِ ، ولُؤْمِ النفس[٣٣٩] :

ومَنْ يَكُ مِفتاحاً لِخَيْرٍ يُرِيدُهُ فإنَّكَ قُفْلٌ يا سعيدُ بن خالِد

وبلغَ الوليدَ أنَّ سلمى جَزِعَتْ لما جرى بينه وبين أبيها ، وأنها بكت ، وأقْذَعَتْ فى سَبِّه ونالت منه ، فأخذ يستعطفها مُبَيِّناً لها أنه يَوَدُّ أباها ويحترمه ، كما يحبها ويُجِلُّها ، وإنما أخرجه عن طوره أن أباها تمادَى فى صَدِّه ، مُسْتَعْذِباً لَوْمها ، ومُسْتَسِيغاً امتعاضها ، ومُقْسِماً لها أنه لن يَكُفَّ عن الاعتذار إليها حتى تصفح عنه ، يقول[٣٤٠] :

عَتِبَتْ سلمى علينَا سَفَاهَا أنْ سَبَبْتُ اليومَ فيها أَبَاهَا

---

(٣٣٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ .
(٣٣٤) الأغانى ٧ : ٦٥ .
(٣٣٥) الأغانى ٧ : ٣١ .
(٣٣٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٦ ، والأغانى ٧ : ٣٠ .
(٣٣٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى : ٣٢٠ ، والأغانى ٧ : ٣١ ، ٦٥ .
(٣٣٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٤ ، والأغانى ٧ : ٣٠ .
(٣٣٩) الأغانى ٧ : ٣٥ .
(٣٤٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٠ ، والأغانى ٧ : ٣٤ .

كان حَقُّ العَتْبِ يا قَوْمُ مِنّى ليسَ منها كانَ قَلْبِى فِدَاهَا
فَلَئِنْ كنتْ أردتْ بِقَلْبِى لأَبِى سلمَى خِلافَ هَواهَا
فَتَكِلْتُ اليومَ سَلَمى فَسلمَى مَلأَتْ أَرْضى معاً وسَمَاهَا
غَيْرَ أَنّى لا أَظُنُّ عَدُوًّا قد أَتَاها كاشحاً بِأَذَاهَا
فَلَها العُتْبَى لَدَيْنَا وقَلَّتْ أبداً حتَّى أنالَ رِضَاهَا

ويقول واصفاً لَوْمَها له ، وإنكارها عُنْفَهُ بأبيها واعْتداءهُ عليه[٣٤١] :

وقالتْ عنَد هَجْوَتِنَا أَبَاهَا أَرَدْتَ الصُّرْمَ فانْتَدِهِ انْتدَاهَا[٣٤٢]
أَرَدْتَ بِعَادَنَا بِهجاءِ شَيْخى وعِنْدكَ خُلَّةٌ تَبْغى هَواهَا[٣٤٣]

واعتذر إلى أبيها اسْترضاءً له ولها ، فَصَرَّحَ بأنَّ ما وقع بينهما من نزاعٍ وشقاقٍ سَبَبُه تَسَرُّعها ، وأكد أنه يُصْفى له المودة ويُصِحُّهَا ، أملاً أن يسكت عما ثار بينهما وينساه ولا ينطق به فى مجالسه ، وأن يُطَهِّر نَفسه من الحقد والبُغْضِ ، حتى تستقيم العلاقة بينهما ، إذ يقول له[٣٤٤] :

أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا عُثْمَا نَ عِذْرَةَ مُعْتِبٍ أَسِفَا[٣٤٥]
فَلَسْتُ كَمنْ يَوَدُّكَ بالْـ ـلِّسانِ ويُكْثِرُ الحَلِفَا
عَتِبْتَ عَلَىَّ فى أَشْيَا ءَ كانَتْ بَيْنَنا سَرَفَا[٣٤٦]
فلا تُشْمِتْ بَنى الأعدا ءَ والجِيرانَ مُلْتَهِفَا[٣٤٧]
تَوَدُّ لَوَ انَّنى لَحْـمٌ رَأَتْـهُ الـطَّيْـرُ فاخْتُطِفَا
ولا تَرْفَعْ بِهِ رَأْساً عَفَا الرَّحمنُ ما سَلَفا[٣٤٨]

ولكن سعيداً لم يَغْفِرْ للوليد زَلَّته ، ولم يُقَدِّر اعترافه بالخطأ ، ولم يَكْتَرِثْ لصداقته ، بل ظل مُعْرِضاً عنه ، حانقاً عليه ، يتحاماه وينفر منه ، ولا يتيح له أن يزور سلمى ويجاذبها أطراف الحديث ، لأن هشام بن عبد الملك نهاه وَتَوَّعده ، فأخذ الوليد يَتَرَدَّدُ على قصر سعيد بالفَدَّيْن لعل

---

(٣٤١) الأغانى ٧ : ٣٥ .
(٣٤٢) انتده : ازدجر .
(٣٤٣) الخلة : الصديقة .
(٣٤٤) الأغانى ٧ : ٣٥ .
(٣٤٥) أعتب الرجل : أرضى صاحبه ، ورجع إلى مسرته .
(٣٤٦) السرف : مجاوزة القصد ، والجهل ، والخطأ .
(٣٤٧) الملتهف : الحزين المتحسر المغيظ .
(٣٤٨) لا ترفع به رأساً : لا تذكره ولا تعلنه .

سلمى تَعْلَمُ به ، فَتَرِق لحاله ، وتخرج لمقابلته ، فيمتِّع نفسه بمشاهدتها وتكليمها . فلما استعصى عليه لقاؤها ، وبَرَّح به الشوق إلى رؤيتها ، انتحل شخصية غير شخصيته ، فَحَظِيَ بالنَّظر إليها ، وشَفَى بَعْضَ وَجْدِه بها ، إذ مر به زَيَّاتٌ معه حمار ، عليه زيت ، قرب القصر ، فقال له : هل لك أن تأخذ فرسي وتعطيني حمارك ، وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك ؟ ففعل الزَيَّاتُ ذلك ، وجاء الوليد ، وعليه الثياب ، وبين يديه الحمار ، يسوقه مُتَنكِّراً . حتى دخل قصر سعيد ، فَنَادَى : من يشترى الزيت ؟ فاطَّلع بعض الجوارى ، فرأينه ، فدخلن إلى سلمى وقلن لها : إن بالباب زياتاً أشبه الناس بالوليد ، فاخرجي فانظرى إليه ، فخرجت ، فرأته ورآها ، فرجعت القهقرى ، وقالت : هو والله الوليد ، وقد رآنى ! فقال الجوارى : لا حاجة بنا إلى زيتك ، فانصرف ، وسجل الوليد مغامرته فى شعره ، فقال[٣٤٩] :

إنَّنى أَبْصَرْتُ شَخْصاً حَسَنَ الوَجْهِ مَليحْ
لابساً أثوابَ سُوءٍ مِنْ عَباءٍ ومُسُوحْ[٣٥٠]
وأبيعُ الزَّيْتَ بَيْعاً خاسراً غيرَ رَبِيحْ

وقال يصور ازورار سلمى عنه بعد أن عرفته ، فأخرجته من ساحة القصر ، وأغلقت بابه من دونه[٣٥١] :

فما مِسْكٌ يُعَلُّ بِزَنْجَبِيلٍ ولا عَسَلٌ بأَلْبَانِ اللِّقَاحِ
بأشهى من مُجَاجةِ ريقِ سلمَى ولا ما فى الزِّقاقِ من القَراحِ
وَلاَ واللهِ لا أَنْسَى حَيَاتى وثَاقَ البابِ دُونى واطِّراحِي

ويدور أغلب نسيب الوليد بسلمى أثناء ولايته للعهد على وصف غرامه بها ، ولَهْفَته عليها ، وما يقاسى من تباريح هواها ، إذ يقول متغنياً بوفائه لها ، ومتمنياً أن تبادله حُبًّا بحبٍ ، وإخلاصاً بإخلاص[٣٥٢] :

أَرَانى اللهُ يا سلمَى حَيَاتى وفى يَوْمِ الحسابِ كما أَرَاكِ
أَلا تَجْزِين مَنْ نَحَّيْتِ عُمْراً ومَنْ لو تَطْلُبِينَ لقد أَتَاكِ
ومَنْ إنْ مِتِّ ماتَ ولا تَمُوتى وإنْ أُنْسى لَهُ أَجَلٌ بَكَاكِ

---

(٣٤٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٥ ، والأغانى ٧ : ٢٩ .

(٣٥٠) المِسْحُ : الثوب من الشعر .

(٣٥١) الأغانى ٧ : ٢٩ .

(٣٥٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٥ ، والأغانى ٧ : ٣٨ .

وَمَنْ حَقًّا لو أُعْطِىَ ما تَمَنَّى  من الأرضِ العَرِيضَة ما عَداكِ
وَمَنْ لَوْ قُلْتِ مُتْ : فأطاقَ مَوْتاً  إذنْ ذَاقَ المماتَ وما عَصَاكِ
أَثِيبِى هَائماً كَلَفاً مُعَنًّى  إذا خَـدِرَتْ لَـهُ رِجْـلٌ دَعَـاكِ (٣٥٣)

ويقول مصوراً نزوعه إليها ، ولوعته بها ، فهى شُغْلُهُ فى حياته ، بل قَدَرُهُ الذى كتب الله عليه أن يشقى به ، ويأرق له (٣٥٤) :

بَلِّغَا عَنِّى سُلَيْمَى  وسَلاَهَا لِىَ عَـمَّا
فَعَلَتْ فى شَأْنِ صَبٍّ  دَنِـفٍ أُشْعِرَهَـمَّا (٣٥٥)
ولقدْ قُلْتُ لِسَلْمَى  إذْ قَتَلْتُ الْبَيْنَ عِلْمَا
أنت هَمِّى يا سُلَيمَى  قدْ قَضَاهُ الرَّبُّ حَتْماَ
نَزَلَتْ فى القَلْبِ قَسْراً  مَنْزِلاً قدْ كانَ يُحْمَى

ويقول واصفاً ما آلت إليه نفسه من انقباض واكتئاب بعد أن سَلَبَتْ سلمَى عَقْلَهُ ، فهى لا تخطر بباله حتى يخفقَ قلبُه ، وتغرقَ عيناه بالدَّمْعِ ، وَيِئِنَّ وَيَنْتَحِبَ . وإنها لتغالى فى هجره وجفائه ، فتزيده حُرْقَةً إلى حُرْقة ، وبيدها أن تَمُنَّ عليه بنظرة تُطْفِئُ شوَقه (٣٥٦) :

مَنْ لِقَلْبٍ أمْسى كَئِيباً حَزِيناً  مُسْتَهاماً بين اللَّهَا والتَّراقِى (٣٥٧)
أمَّ سلاَّم ما ذكَرْتُكِ إلاَّ  شَرِقَتْ بالدُّموعِ منى المَآقى
أمَّ سَلاَّمِ ذِكْرُكُمْ حيثُ كُنْتُمْ  أنت دَائى وفى لِسَانِكِ راقى
حَذراً أنْ تبينَ لى دَارُ سَلْمَى  وَتجِىءَ الدّنيا لها بِفِراق

ويقول شاكياً سهره وقلقه ، وما يطبق عليه من آلام فى ليله ، لشدة تفكيره فى سلمى ، وهى لاهية عنه ، لا تعبأ به ، راجياً أن تُنَوِّلَهُ حتى تبقى على حياته ، فإنها إن لَجَّتْ فى مطله وقطيعته قَرَّبَتْ حَتْفَهُ ، وإنه لَيَقْبَلُ قَضَاءَها فى حُبِّه لها ، ولا يطلب سوى إنصافها (٣٥٨) :

---

(٣٥٣) كانت العرب تقول : إن الإنسان إذا خدرت قدمه دعا باسم أحب الناس إليه فسكنت .

(٣٥٤) الأغانى ٧ : ٣٩ .

(٣٥٥) الدنف : المريض الذى دنا من الموت . وأُشْعِرَ هَماً : غَشِيَه الهَمُّ .

(٣٥٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص ٣١ . والأغانى ٧ : ٨٤ .

(٣٥٧) اللَّهَا : جمع اللَّهاة ، وهى من كل ذى حلق اللحمة المشرفة على الحلق ، وقيل هى منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم . والتراق : جمع ترقوة ، وهى مقدم الحلق فى أعلى الصدر .

(٣٥٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٦ ، والأغانى ٧ : ٩١ .

نامَ مَنْ كانَ خَلِيًّا مِنْ أَلَمْ ولقدْ بِتُّ شَجِيًّا لمْ أَنَمْ
أَرْقُبُ النَّجْمَ كأنى مُسْنَدٌ بِأكُفِّ القومِ تَغْشَانى الظُّلَمْ
إنَّ سَلْمَى ولنا مِنْ حُبِّها دَيْدَنٌ فى القلبِ ما اخْضَرَّ السَّلَمْ
قد سَبَتْنى بِشَتِيت نَبْتُهُ وثنايَا لَمْ يَعِبْهُنَّ قَضَمْ[٣٥٩]
أُحْكُمِى فى الوَصْلِ إذْ وُلِّيتِهِ ليس قَتْلُ النَّفْسِ مِنْ عَدْلِ الحَكَمْ

ويقول مُرَجِّعاً أحزانه ومواجعه ، وسائلاً لَها أن تحتقر عُذَّاله وتردهم مغيظين[٣٦٠] :

يا سُلَيْمَى يا سُلَيْمَى كنتِ للقلبِ عَذابَا
يا سليمَى ابنَةَ عَمِّى بَرَدَ الليلُ وطابَا
أيُّمَا واشٍ وشى بى فامْلَئِى فاهُ تُرابَا

ويقول مُتَحَسِّراً على بُعْدِها ، فهى بهجة حياته ، وإنه ليَتَضَرَّعُ إليها أن تعطف عليه ، فقد ذهبت بِرَوْعَة أيامه ، لطول عزوفها عنه ، واتصال ظلمها له ، فأصبح مسلوب الفؤاد ، شارد العقل[٣٦١] :

أمَّ سَلاَّمَ أثِيبِى عاشِقاً يَعْلَمُ اللهُ يقيناً رَبُّهُ
أنكمْ مِنْ عَيْشِهِ فى نَفْسِهِ يا سليمَى فاعْلَمِيهِ حَسْبُهُ
فارْحَمِيهِ إنَّهُ يَهْدِى بكمْ هائمٌ صَبٌّ قد اودَى قَلْبُهُ
أنتِ لو كنتِ لهُ راحمةً لم يُكَدَّرْ يا سُلَيْمَى شِرْبُهُ[٣٦٢]

ويقول أسفاً على حرمانه منها ، فهى جَنَّتُهُ فى دنياه ، وإنه ليأمل أنْ يَلْتَئِم شَمْلُهُ بها ، داعياً لها بالسلامة واليمن ما عاشت[٣٦٣] :

أُمَّ سَلاَّمَ لا بَرِحْتِ بِخَيْرٍ ثمَّ لا زِلْتِ جَنَّتِى مَا حَيِيتِ
طَرَباً نَحْوَكُمْ وشوقاً وتوقاً لادِّكَارِيكُمْ وطِيبِ المَبِيتِ
حيثُما كنتِ من بلادٍ وسِرْتُمْ فَوَقَاكِ الإلهُ ما قدْ خَشِيتِ

ويقول ضائقاً بمعاناته فى حبها ، فقد أهزلته وَحطَّمت قلبه ، متوسلاً إليها أن ترحمه ، حتى تُخَفِّفَ تَعَسَهُ ، وتُنْعِشَ نَفْسَه[٣٦٤] :

---

(٣٥٩) القضم : تكَسُّرٌ أو تَثَلُّمٌ فى أطراف الأسنان .
(٣٦٠) الأغانى ٧ : ٤٠ .
(٣٦١) الأغانى ٧ : ٤٢ .
(٣٦٢) الشرب : الماء ، والمورد .
(٣٦٣) الأغانى ٧ : ٤٢ .
(٣٦٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٢ ، والأغانى ٧ : ٨٤ .

أُمَّ سَلَّامَ لولَقِيتِ مِنَ الـ ـوَجْدِ عَشِيرَ ما لَقِيتُ بَراكِ
فأَثِبِي بالوُدِّ صَبًّا عَمِيداً مُسْتَهاماً لم يَشْجُهُ مَا شَجاكِ(٣٦٥)

ولِشِدَّةِ وَلَهِهِ بها لازمته صورتها فى نهارِهِ وليله ، وجعل يهتف باسمها فى يَقَظَتِه وغَفْلَتِهِ ، فكان يمضى يومه يفكر فيها ، فإذا هجع فى مرقده أَلَمَّ به خيالها ، فأَرَّقَهُ وهَاجَ أحزانه ، وَحَرَّكَ مَوَاجِدَهُ ، يقول(٣٦٦) :

طاف مِنْ سَلْمَى خَيَالٌ بَعْدَمَا نِمْتُ فَهاجَا
قُلْتُ عُجْ نَحْوَى أُسَائِلْـ ـكَ عَنِ الحُبِّ فَعَاجَا
يـا خَلِيلِي يـا نَدِيمِي قُمْ فَأَنْفُثْ لى سَرَاجَا(٣٦٧)
بِفَلَاةٍ لَيْسَ تُرْعَى أَنْبَتَتْ شِيحاً وحَاجَا(٣٦٨)

ويقول مُصَوِّراً زيارة طيفها له ، وقد نام أصحابه ، عاجباً من سيرها نحوه ، وتَخَطِّيها الأميال الطويلة إليه ، وتَعَرُّضِها للأخطار والمهالك ، مع ما يعرف من رِقَّتها وتَنَعُّمها ، وقِلَّةِ مُزَايَلَتها لِبَيْتِها(٣٦٩) :

طَرَقَتْنى وصِحَابِى هُجُوعٌ ظَبْيَةٌ أَدْمَاءُ مِثْلُ الهِلَالِ(٣٧٠)
مِثْلُ قَرْنِ الشَمسِ لمَّا تَبدَّتْ واسْتَقَلَّتْ فى رُؤوس الجِبَالِ
تَقْطَعُ الأهوال نَحْوى وكانتْ عندَنا سَلْمَى أَلُوفَ الحِجَالِ
كمْ أَجَازَتْ نَحْوَنَا مِنْ بِلادٍ وَحْشَةٍ قَتَّالةٍ للرِّجالِ

ويقول واصفاً هيامه بها ، وما كان من عذاب فى هواها حتى نَسِيَ صَوْمَه وصَلاتَه ، فهى أمنيته فى حياته ، وإنه لَيَتمنَّى أنْ تأذن له بزيارتها ، ليسعد برؤيتها كما يسعد بخيالها الذى يطرقه كلما أصاب سنة من النوم(٣٧١) :

أَرانى قَدْ تَصَابَيْتُ وقَدْ كُنْتُ تَنَاهَيْتُ

---

(٣٦٥) العميد : المريض الذى لا يستطيع الجلوس حتى يُقَامَ من جوانبه بالوسائد ، ومنه اشتق القلب العميد ، أى الذى هَدَّه العشق وكسره .

(٣٦٦) الأغانى ٧ : ٤٢ .

(٣٦٧) أنفث : أصله نفث ، وهُوَ مُتَعَدٍّ بنفسه ، ومعناه : نفخ .

(٣٦٨) الحاج : نَبْتٌ من الحَمْضِ .

(٣٦٩) الأغانى ٧ : ٤٣ .

(٣٧٠) الأدماء : البيضاء .

(٣٧١) الأغانى ٧ : ٣٣ ، وانظر معجم البلدان ١ : ٧٨٥ .

ولو يَعْذُرُكُنى الحُبُّ لقدْ صُمْتُ وصَلَّيْتُ
إذا شِئْتُ تَصَبَّرْتُ ولا أَصْبُر إنْ شِيتُ
ولا واللهِ لا يَصْبِـ ـرُ فى الدَّيْمُومَةِ الحُوتُ[٣٧٢]
سُلَيْمَى ليسَ لى صَبْرٌ وإنْ رَخَّصْتِ لى جِيتُ
فَقَبَّلْتُكِ أَلْفَيْنِ وفَدَّيْتُ وَحَيَّيْتُ
أَلا أَحْبِبْ بِزَوْرٍ زَا رَ مِنْ سَلْمَى بِبَيْروتِ
غَزالٌ أَدْعَجُ العَيْنِ نَقِيُّ الجِيدِ واللَّيْتِ[٣٧٣]

ويقول مصوراً ما كان يعتريه من هموم ، وما كان ينهمر على خديه من عبرات ، وما كان يَخْنُقه من زفرات كلما استعاد قصة حبه لسلمى ، مكرراً أن خيالها زاره ، وظل يداعبه حتى انبلجت أضواء الفجر[٣٧٤] :

تَذكَّرَ شَجْوَهُ القَلْبُ القَرِيحُ فَدَمْعُ العَيْنِ مُنْهَلٌّ سَفُوحُ
أَلا طَرَقَتْكَ بالبَلْقاءِ سَلْمَى هُدُوًّا والمطىُّ بنا جُنُوحُ
فَبِتُّ قَرِيرَ العَيْنِ حَتَّى تَكَلَّمَ ناطقُ الصبحِ الفَصِيحُ

ولقوة حنينه إلى سلمى ، وطول حرمانه منها اختلطت صورتها بصورة مظاهر الطبيعة الحية فى وجدانه ، فكان يرى سلمى فى ظباء الصحراء[٣٧٥] ، وكان يَتَوهَّمُ أنَّ للطير صحبةً معها ، وأنه يعلم أخبارها ، فكان يتفاءل به ، إذا أبصره ، ويسأله عن أسرارها ، وكأنه شخص حقيق يصغى إليه ويَردُّ عليه ، كقوله يحاور الطير ويستنطقه[٣٧٦] :

خَبَّرُونى أَنَّ سَلْمَى خَرجَتْ يَوْمَ المُصَلَّى
فإذا طيرٌ مَلِيحٌ فوقَ غُصْنٍ يَتَفلَّى
قلتُ : مَنْ يَعْرف سلمَى قالَ : هَا ثمَّ تَعَلَّى
قلتُ : يا طيرُ ادْنُ منى قال : هَا ثَم تَدَلَّى
قلتُ : هلْ أبصرَت سلمَى قال : لا ثمَّ تَوَلَّى
فَنَكا فى القَلْبِ كَلْماً باطِناً ثمّ تَعَلَّى

---

(٣٧٢) الديمومة : الصحراء البعيدة .
(٣٧٣) الدعج : شدة البياض مع شدة السواد . والليت : صفحة العنق .
(٣٧٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٩ .
(٣٧٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٠ ، والأغانى ٧ : ٤٨ .
(٣٧٦) الأغانى ٧ : ٣٦ .

ولم يزل الوليد يَنْسِبُ بسلمى ، وينشد نسيبَهُ بها جُلساءه وخاصته ، ويدفعه إلى المغنين ، وهم يلحنونه ، ويَصْدَحونَ به ، حتى ذاعت قصة حبه لسلمى فى البوادى والحواضر ، وَتَلقَّف الفتيات نسيبه بها وتَرَاسَلْنَهْ وتَبادَلْنَهُ ، وشَدَوْنَ به مُتَرنِّحاتٍ مُعْجباتٍ ، وفى ذلك يقول(٣٧٧) :

شاعَ شِعْرى فى سُلَيْمَى وظَهَرْ ورَواهُ كلَّ بادٍ وحَضَرْ
وتَهادَتْهُ العَذارَى بَيْنَها وتَغَنَّيْن بِهِ حَتَّى انتَشَرْ
قلتُ قولاً لسُلَيْمَى مُعْجباً مِثْلَ ما قالَ جَمِيلٌ وعُمَرْ
لو رَأَيْنَا لِسُلَيْمَى أثراً لَسَجَدْنَا ألفَ ألفٍ للأَثَرْ
واتَّخَذْنَاهَا إماماً مُرْتَضىً ولكانَتْ حَجَّنَا والمُعْتَمَرْ
إنَّما بنتُ سَعيدٍ قَمَرٌ هلْ حَرِجنَا إنْ سَجَدْنَا لِلْقَمَرْ

وعَبَّرَ الوليد عن فرحته بسلمى ليلة أدخلت عليه ، كما عبر عن لَهْفَتِه عليها . ولَوْعَته بها قبل أن يتَزَوَّجَها . فإنَّ له قصيدة طويلةً صور فيها زَفَافها إليه . فقد ظَلَّت تزين حَتَّى الفجر . فأحَسَّ بِثقَل الوقت وبُطْئِهِ . ثم خرجت من بيتٍ مجاورٍ لقصرِهِ فى موكبٍ حافلٍ . تَحُفُّ بها خَمْسُ فتياتٍ . فاقتهن حُسْناً وجَمالاً . يقول(٣٧٨) :

خَفَّ من دَارِ جِيرَتِى يا خَلِيلَىَّ أَنْسُها
أَوَلا تَخْرُجُ العَرُو سُ فقد طالَ حَبْسُها
قد دَنَا الصُّبْحُ أو بَدَا وهى لم يُقْضَ لُبْسُها
خَرَجت كالمهاةِ فى ليلةٍ غابَ نَحْسُها
بَيْنَ خَمْسٍ كَواعبٍ أكرمُ الجِنْسِ جِنْسُها

ويقول مُبْتَهجاً بانْفِضَاضِ موكب زفافها . وخُلُوِّه إليها . فقد انتشى بها وجَذِلَ . وأخذ يرقص معها . مسترجعاً أيامه المُرَّةَ التى قضاها محروماً منها . وعاتباً على القدر الذى باعد بينه وبينها . وداعياً بِهَلاَكِ العُذَّال . حتى يَبْرَأَ المجتمعُ منهم . وَيَنْجُوَ المحبون من أذاهم(٣٧٩) :

أَنَا فى يُمْنَى يَدَيْهَا وهىَ فى يُسْرَى يَدَيَّهْ
إنَّ هـذا لَـقَضاءٌ غيرُ عَدْلٍ يا أُخَيَّهْ
ليتَ مَنْ لاَمَ مُحِبًّا فى الهَوَى لاَقَى مَنِيَّهْ

---

(٣٧٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٥ ، وأنظر العقد الفريد ٤ : ٤٥٤ .
(٣٧٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٠ ، والأغانى ٧ : ٣٠ .
(٣٧٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٦ .

فاستَراحَ الناسُ مِنْهُ مِيتةً غيرَ سَوِيَّهْ

وعندما اختطفت المنية سلمى منه ، حزن عليها ، ورثاها رثاءً حاراً . وصف فيه كِبَرَ رُزْئه بها . وقِلَّةَ عَزائِه فيها . إذ فُجِعَ فى جمالها وشبابها وأخلاقها ، وسُلِبَ شقَّة نَفْسِه . فَحُقَّ له أن يبكى الأيام القصيرة الحلوة التى أمضاها معها ، يقول(٣٨٠) :

أَلَمَّا تَعْلَما سَلْمى أَقامَتْ مُضَمَّنَةً مِنَ الصَّحراءِ لَحْدا
لَعَمْرُكَ يا وليدُ لَقَدْ أَجَنُّوا بها حَسَباً ومَكْرُمَةً ومَجْدَا
وَوَجْهاً كانَ يَقْصُرُ عَنْ مَداهُ شُعاعُ الشمسِ أَهْلٌ أن يُفَدَّى
فلمْ أَرَ مَيِّتاً أَبْكَى لِعَيْنٍ وأكثَرَ جازِعاً وأَجَلَّ فَقْدَا
وأَجْدَرَ أنْ تكونَ لَدَيْهِ مِلْكاً يُرِيكَ جَلادَةً ويُسرٌ وَجْدَا

ويقول واصفا ما ينتابه من الغم والكآبة والسَّأم كلما تذكرأنه افتقدها فى ربيع عمرها ، فقد كانت كالروضة الطيبة ، التى رجا أن يفىء إلى ظلها ، وينعم بخيراتها ، وكان يرى أشجارها وهى تَشْتَدُّ سِيقانُها ، وتتَفَرَّعُ أغصانُها ، وتتكَوَّنُ أزهارُها ، فكان يزداد حرصاً عليها ، ورعايةً لها ، حتى إذا نَضَجَتْ ثمارُها ، وحَانَ قِطَافُها ، هَبَّت رياحُ الخريف الهوجاء(٣٨١) فأَذْبَلَتْهَا وعصفت بها :

يا سَلْمُ كنتِ كَجَنَّةٍ قد أُطْمِعَتْ أقْنَانُها دانٍ جَنَاها مُوضَعُ(٣٨٢)
أربابُها شَفَقاً عليها نَوْمُهُمْ تَحْلِيلَ مَوْضِعِها ولمَّا يَهْجَعُوا(٣٨٣)
حتى إذا فَسَحَ الرَّبيعُ ظُنُونَهُمْ نَثَرَ الخريفُ ثِمارَها فتصدَّعُوا

ذلك أكثر ما وصل من شعر الوليد فى النسيب بسلمى ، وهو يشهد بأن غزله يقترب اقتراباً شديداً من الغزل العذرى ، وَيَلْتَحِمُ به التحاماً قوياً . فهو زاخر بمعانى الصَّبابةِ والشَّوقِ والحسرة والأسى المقيم الذى لا يَبْرَح . فقد غدت سلمى غاية أمانيه ، بل معبودته فى حياته ، قَضَىَ زَهْرَةَ شبابه فى محراب حُبِّها ، يكتوى بنار هجرها وبُعْدِها ، وَيَلْهجُ باسمها ، ويَنْشُدُ وِصَالَها ، لا يفكِّرُ فى غيرها ، ولا يجعل لسواها مكاناً فى قلبه ، مُخْلِصاً لها ، مع ما لَقى من عذابٍ وحرمانٍ فى عِشْقِهَا ، ومُتَرَفِّعاً فيه عن الإفحاش والإسفاف . فلما بَنَى بها استقرت عواطفه ، وخُيِّل إليه أن الدنيا أقبلت عليه ، فَعَبَّرَ عن سعادته وفرحته . ولكن القدر سرعان ما انتزع منه قُرَّةَ عَيْنِه فانكبَّ على نفسه ، يبكى شريكة حياته ،

---

(٣٨٠) الأغانى ٧ : ٣١ .
(٣٨١) الأغانى ٧ : ٦٥ .
(٣٨٢) مُوضَع : مُتَقَصِّد .
(٣٨٣) شفقاً عليها : خوفاً عليها . والتحليل : النزول اليسير .

وَيْندُبُ حَظَّه التعيس فى دنياه .

وأما ما رَدَّدَهُ من أن سلمى شغلته عن الصلاة ، وصرفته عن الصوم ، أو أنه لو عَثَرَ بأَثَرٍ لها لَسَجَدَ له ، أو أنها أصبحت كعبته التى يحج إليها ويطوف بها ، أو إمامه المرتضى الذى يَنْقَادُ له ، ويُسَلِّمُ أمرَه إليه ، فليس من المجون والعبث الفكرى ، والشك فى الدين ، وإنما هو من باب الظَّرْفِ والإطراف ، والرغبة فى الوُقوع على المعانى اللطيفة ، وقد استوحى أقله من الأساطير الشعبية ، واستوحى أكثره من الثقافة الدينية الإسلامية !

وأما أسلوب الوليد الغزلى فمعظم ألفاظه مستمدة من اللغة الدارجة ، وهُو يَرَكِّبُ جُمَلَهُ وَيْبنيها بناءً يُشْبِهُ بناء الجملة فى اللغة المحكية ، وتَجْرى فى غزله بعض العبارات اليومية[٣٨٤] ، والأمثال الشعبية[٣٨٥] ، وتَلْتَوى بعضُ جُمَلِهِ وتَتعقَّدُ ، وتَغْمُضُ معانيها ، ولاتَتَبَيَّنُ الصِّلَةُ بينها وبين غيرها[٣٨٦] .

وهو لا يَميلُ إلى التصوير فى غزله إلَّا قليلاً . وصورُهُ حضريةٌ ضَيِّقَةٌ ، قَريبةُ المأْخَذ ، لا عُمْقَ فيها ولا إبداع ، فإنَّ طاقته الفنية المرهقة المكدودة لم تُمكِّنْهُ من التَّحْليق بخياله ولم تُعِنْهُ على تَحْبِيرمناظر واسعةٍ غنيةٍ . وهو لا يجنح إلى استلهام الصور الغزلية الصحراوية التى ابتكرها الشعراء الجاهليون وتعاقبوا عليها ، وتمسك بها خالفوهم من الشعراء الإسلاميين البدويين أو التقليديين .

ولا يظهر فى غزله أثر للتهذيب والتنقيح ، أو للفخامة والرصانة ، «لأنه لم يكن يَتَصَنَّعُ فى شعره ، ولم يكن يبالى بما يقوله منه »[٣٨٧] . بل كان ينشده كما تَفِيضُ به قريحته ، ويَرْتَجِلُه كما يَتَيَسَّرُ له ، ولا يدَّخره زماناً لِيجُيلَ فيه نَظَرَه ، ويُحَكِّكَهُ ويُقَوِّمَهُ ، ويُخْلِيَهُ من العيوب والسقطات ، فإن نفسه المستهلكة المنهكة لم تكن تطيق الصبر على ذلك ، فقد كانت متوترةً مشحونةً بالمشاعر ، وكان هَمُّهُ مُتَّجِهاً إلى بثِّ مشاعرها وإفراغها بأقصى سرعة .

ويحس الإنسان بضعف محاولاته الغزلية الأولى وسذاجتها ، فهو يبدو فيها شاعراً ناشئاً لم تَنْضُجْ مَوْهِبَتُه ، ولم تَكْتَمِلْ ثقافَتُهُ ، ولم يُجاوِزْ مَرْحَلَة التَّدَرُّب على نظم الشعر ، فكان يَصُفُّ الكلمة بجانب الكلمة ، ويقدم ويؤخر الكلمات داخل الأبيات ، ويستكره الألفاظ ، وينزلها فى غير مواضعها ، ويجتلب بعض الغريب والمهجور[٣٨٨] ، ويتصرف فى صيغ الأفعال ، فيلحق الهمزة بالفعل

---

(٣٨٤) الأغانى ٧ : ٣٣ .

(٣٨٥) الأغانى ٧ : ٣٣ ، ٣٥ ، ٦٥ .

(٣٨٦) الأغانى ٧ : ٨٤ .

(٣٨٧) الأغانى ٧ : ٨٤ .

(٣٨٨) الأغانى ٧ : ٣٥ .

المتعدى (٣٨٩) . ويأخذ ببعض وجوه الإعراب الشاذة ، مثل إلزام المثنَّى الألف فى جميع أحواله (٣٩٠) ، ويرتكب بعض الضرورات العروضية كالسناد والإقواء (٣٩١) ، حتى يُؤلِّفَ الأبيات . ويستقيم له وزنها ، ويعقدها بالقوافى . فغلب على مقطوعاته الغزلية المبكرة غير قليل من الركاكة والهَلْهَلَةِ والضحالة والعقم . ولكن مقطوعاته الغزلية المتأخرة أرقى من سابقاتها بدرجات ، فهى نغماتٌ صافية «خالصة» ، وألحان «موسيقية خفيفة راقصة» ، لِيُسْرِ ألفاظها وعُذُوبتها ، ورِقَّةُ جُمَلها وسهولتها ، وقِصَرِ أوزانها ورَشاقتها .

ولهذه الخصائص الموضوعية واللغوية والتركيبية والتصويرية أهميةٌ بالغةٌ ، فهى مقياس «سليم» لتوثيق بقية ما يضاف إليه من الغزل ، وأساسٌ «صالحٌ» لتمييز صَحِيحه من مَنْحُولِهِ ، فكلُّ غَزَلٍ رَواه له الرواة المدققون ، وتَحَقَّقَتْ فيه تلك الخصائص كان من شعره الذى يطمأن إليه ، وَيُعْتَدُّ به ، وكلُّ غَزَلٍ رواه له الرواة المُتَّهمون ، وغابت عنه تلك الخصائص ، وكان فى مَضْمُونه عُهْرٌ وفُجْرٌ ، وإباحة صريحة ، وإلحاد واضح ، وفى أسلوبه متانَةٌ وجزالةٌ . كان فى الغالب مَوْضُوعاً عليه أو مَنْحُولاً له .

## ٦ – أولاده

أَعْقَبَ الوليد خمسة عشر من البنين هم (٣٩٢) : سعيدٌ ، وأُمُّه سَعْدة بنت سعيد بن خالد ، وعثمانُ ، وأُمُّه عاتكة بنت عثمان بن محمد ، والعبَّاس ، والحَكَمُ ، ويزيدُ ، والعَاصى ، ومُوسى ، وفَتْحٌ ، وفِهْرٌ ، وقُصَىٌّ ، ولُؤَىٌّ ، وواسط ، وذؤابة ، ومؤمن ، والوليد ، لأمَّهات أولادٍ شتَّى من الجوارى . وتَرَك عِدَّةً من البنات (٣٩٣) ، منهن أَمَةُ اللهِ . تزوجها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك (٣٩٤) ، وأُمُّ الحَجَّاج ، تزوجها محمد بن يزيد بن الوليد ، ثم خَلَفَ عليها يحيى بن عبد الله ابن مروان بن الحكم (٣٩٥) .

---

(٣٨٩) الأغانى ٧ : ٤٢ .

(٣٩٠) الأغانى ٧ : ٣٥ .

(٣٩١) الأغانى ٧ : ٣٣ .

(٣٩٢) نسب قريش ص : ١٦٧ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٣٤ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٩٢ .

(٣٩٣) سير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١١ ظ.

(٣٩٤) جمهرة أنساب العرب ص : ٩٢ .

(٣٩٥) جمهرة أنساب العرب ص : ٩٢ .

والحكم أهم أبناء الوليد[٣٩٦] . عقد له الوليد العهد . واستعمله على دمشق ثم حبسه يزيد ابن الوليد . وظل فى الحبس حتى انهزم سليمان بن هشام أمام مروان بن محمد على مشارف دمشق . فأرسل سليمان إلى الحكم من اغتاله . لأنه خاف إن بقى حيًّا أن يبايع له مروان بن محمد بالخلافة . فينتقم من قتله أبيه[٣٩٧] .

وتُنْسَبُ للحكم قصيدة تُسَجِّل تأزُّم الأوضاع السياسية فى الفترة الأموية الأخيرة . إذ تشير إلى تَفَسُّخِ الأسرة المروانية وَتَفرُّقها . ومنازعةِ بعضها لبعض فى الْمُلكِ . وإلى تَفَاقُم الخلاف والصراع بين القبائل العربية على السلطان . ومشايعة اليمنية ليزيد بن الوليد . ومناصرة المضرية لمروان ابن محمد ، وسعى مروان للأخذ بثأر الوليد . واجتهاده فى القضاء على نفوذ اليمنية . وتَمَسُّ وراثةَ الخلافة . وتَسَلْسُلَها فى أبْنَاءِ الخلفاء الصُّرَحاء . وحَجْبَها عن أبنائهم الهُجَناء . مما كان يُثِيرُ أبناء الخلفاء من الإماء . ويدعوهم إلى التَّذَمُّرِ والتَّسَخُّط . وتتضمن نِهايَتُها عَهْدَ الحَكَمِ بِالخلافة لمروان ابن محمد ، وهى تنساب على هذا النحو[٣٩٨] :

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ مَرْوانَ عَنِّى ... وَعَمِّى الغَمْرَ طال بِذا حَنِينَا
بأنِّى قد ظُلِمْتُ وصارَ قَوْمى ... على قَتْلِ الوليدِ مُتَابِعينا
أَيَذْهب كَلْبُهُم بِدَمى ومَالى ... فلا غَنَّا أَصَبْتُ ولا سَمِينا
ومروانُ بِأَرْضِ بَنِى نِزارٍ ... كَلَيْثِ الغَابِ مُفْتَرِشٌ عَرِينا
أَلَمْ يُحْزِنْكَ قَتْلُ فَتَى قريشٍ ... وشَقُّهُمُ عِصِىَّ المُسْلِمينا
أَلاَفَاقْرِ السَّلاَمَ على قريشٍ ... وقيسٍ بالجزيرةِ أَجْمَعِينا
وسَادَ النَّاقِصُ القَدَرِىُّ فِينَا ... وألقى الحَرْبَ بَيْنَ بَنِى أَبِينا
فلو شَهِد الفوارسُ من سُلَيْمٍ ... وكَعْبٍ لم أكنْ لهمُ رَهِينا
ولو شَهِدَتْ لُيُوثُ بنى تَمِيمٍ ... لما بِعْنَا تُراثَ بَنِى أَبِينا
أَتَنْكَثُ بَيْعَتِى مِنْ أَجْلِ أُمِّى ... فَقَدْ بَايَعْتُمُ قَبْلِى هَجِينا[٣٩٩]

---

(٣٩٦) ترجمته فى تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٤١٠ .

(٣٩٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٨ ، ٣١١ ، ووفيات الأعيان ٧ : ١١١ .

(٣٩٨) تاريخ الطبرى ٧ : ٣١١ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٥٨ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٤١١ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٢٣ .

(٣٩٩) يشير إلى يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فإن أمه فارسية ، وهى شاهفريد بنت كسرى بن فيروز بن يزدجرد بن شهريار . (انظر جمهرة أنساب العرب ص : ٨٩) .

فَلَيْتَ خُؤولَتي من غَيْرِ كَلْبٍ وكانتْ في ولادةِ آخرينا
فإنْ أَهْلِكْ أنا وَوَلِيُّ عَهْدي فمروانٌ أميرُ المؤمنينا

والراجح أنَّ القصيدةَ مَوْضُوعةٌ ، وأنها وُضِعَتْ تلبيةً لرغبة مروان بن محمد ، لِيُثْبِتَ بها أنه الوارث الحقيق للخلافة ، ويُضْفي على خلافته صفة الشرعية ، وأنها جاءته كما جاء الخلفاء السابقين من طريق العهد والميثاق . والبيت الأخير من القصيدة يكشف عن الغاية من صُنْعها ، فهو يشمل مبايعة الحكم لمروان بولاية أمر المسلمين ، وهو الوثيقة التي استند إليها مروان في تأكيد حقه في الخلافة ، إذ كان يقول : « أنا أطلب الخلافة عن بَيْعَة »[٤٠٠] . ويُرَجِّحُ وَضْعَ القصيدة أن المدائني يروى عن بعض الشاميين أنَّ أبياتاً منها قيلت على لسان الحكم[٤٠١] . ولم يلتفت صانعها إلى أن الحكم لم يكن شاعراً ، وأنه لم يؤثر له غيرها ، بل التفت إلى أنه كان صغيراً ، فَقَدَّم لها بقوله : إن الحكم كان أدْرَكَ وتَزَوَّج ، ورُزِقَ ولداً قبل أنْ يُسْجَن[٤٠٢] ، لِيُسَوِّغَ اسْتِيعابَهُ للقضايا السياسية التي عرضها في القصيدة ، وَوَعْيَه لها . ولكن قوله الذي قدم به لها ليس بصحيح ، إذ يَنْقُضُه ما ذكره ابن حزم من أن الحكَم ليس له عَقِب[٤٠٣] . ويَهْدِمُه أيضاً مخالفته لأخطر ما أُخِذَ على الوليد من أنه بايع للحكم وهو غلامٌ لم يَحْتَلِمْ[٤٠٤] !

وبايَعَ الوَليدُ لابنه عثمانَ بعد أخيه الحكم ، وَوَلاَّه على حمص[٤٠٥] . واغتيل عثمان مع أخيه الحكم في السجن سنة سبع وعشرين ومائة[٤٠٦] .

وكان سعيد بن الوليد يُزَكِّي نفسه للخلافة ، ولم يكن له عَقِب[٤٠٧] ، وهرب العباس بن الوليد إلى إفريقية سنة أربع وثلاثين ومائة ، ولم يكن له عقب[٤٠٨] . وفَرَّ العاصي ولؤى إلى إفريقية مع عبد الله بن مروان بن محمد ، وقُتِلَ العاصي بأرض النوبة ، قَتَلَهُ عبدُ الرحمن بن حبيب الفهرى[٤٠٩]

---

(٤٠٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثاني ص : ٢٥٨ .
(٤٠١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثاني ص : ٣٥٨ .
(٤٠٢) تاريخ الطبري ٧ : ٣١١ .
(٤٠٣) جمهرة أنساب العرب ص : ٩٢ .
(٤٠٤) تاريخ الطبري ٧ : ٢٣٢ .
(٤٠٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثاني ص : ٣٢٠ .
(٤٠٦) تاريخ الطبري ٧ : ٢٣٢ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٤١٠ ، ووفيات الأعيان ٧ : ١١١ .
(٤٠٧) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٢٧٧ ، وانظر جمهرة أنساب العرب ص : ٩٢ .
(٤٠٨) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٧٢ ، وانظر جمهرة أنساب العرب ص : ٩٢ .
(٤٠٩) جمهرة أنساب العرب ص : ٩٢ .

وكان لِلُؤَىٍّ من الوَلَدِ يزيد والعباس . واستمر عَقِبُ فتح والوليد وتكاثروا[٤١٠] . وأما يزيد وموسى وفهر وقصى وواسط وذؤابة ، فلم يَتَّصِلْ نسْلُهُمْ ، ولا كانت لهم ذُرِّية[٤١١] .

ويزعم ابن حزم أن مؤمن بن الوليد هرب إلى إفريقية ، وأن أولاده رحلوا إلى الأندلس واستقروا بها ، وكان لهم سلطان بأشبيلية[٤١٢] . ورَوَى المدائنى أنَّ مُؤْمناً مات فى خلافة أبيه[٤١٣] . وفى شعر الوليد ما يؤيد رواية المدائنى ، فهو يقول فى رثاء مُؤْمنٍ . وقد نعاه إليه سنان الكاتب[٤١٤] :

أَتَانى سِنانٌ بالوَداع لِمُؤْمِنٍ ... فقلتُ له : إنِّى إلى اللهِ رَاجِعُ .
وكيفَ بُكائِى مُؤْمناً ولقد أَرَى ... بِأَنِّى له يا نَفْسُ لابُدَّ تَابِعُ
ألاَ أَيُّها الحَاثِى عليه تُرابَهُ ... تَعِسْتَ وشُلَّتْ من يَدَيْكَ الأصابِعُ
يَقُولونَ لا تَجْزَعْ وأَظْهِرْ جَلادَةً ... فكيفَ بِمَا تُحْنَى عليهِ الأَضَالِعُ !

---

(٤١٠) جمهرة أنساب العرب ص : ٩٢ .

(٤١١) جمهرة أنساب العرب ص : ٩٢ .

(٤١٢) جمهرة أنساب العرب ص : ٩٢ .

(٤١٣) الأغانى ٧ : ٦٩ .

(٤١٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٢ ، والأغانى ٧ : ٦٩ .